موقع الدراسات
القبطية والأرثوذكسية

د. جورج حبيب بباوي

أُقْنُومِيَّةُ الرُّوحِ القُدُسِ

بين الإنكار، وفساد الاستدلال

ردًا على بحث الأنبا بيشوي المقدم إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية

www.coptology.com

Coptology

أُقْنُومِيَّةُ الرُّوحِ القُدُسِ

بين الإنكار، وفساد الاستدلال

أداة التعريف (أل) وأثرها على التسليم الرسولي الخاص بالروح القدس

دراسة في الكتاب المقدس والآباء والطقس

رداً على بحث الأنبا بيشوي المقدم إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية المنعقدة في إنجلترا في الفترة من ٣ – ٧ أكتوبر ٢٠١٣ بعنوان "انبثاق الروح القدس"

دكتور/ جورج حبيب بباوي

٢٠١٤

www.coptology.org

جدول المحتويات

نداء إلى قداسة البابا تواضروس الثاني والآباء الأرثوذكسيين في المجمع المقدس للكنيسة القبطية ٨

مقدمة للقديس غريغوريوس النزينزي عن الروح القدس ٩

متى يكف الأنبا بيشوي عن شرح عقائد لم يدرسها؟ ١٢

نص كلام الرسول بولس، بل كلام الرب نفسه ١٣

نفخة الروح القدس ١٤

تمهيد: طرحُ المشكلة: هل هناك فرق عقيدي بين "الروح القدس"، و "روحٌ قدس"؟ ١٦

ما بين التجسد واللغة ١٦

مشكلة اللغة والفقه ١٨

الفصل الأول: كيف استخدم العهد الجديد كلا التعبيرين؟ ٢١

١- وعد يسوع لتلاميذه قبل صعوده. ٢١

٢- الروح القدس في يوم الخمسين ٢١

٣- اختبار كرنيليوس ٢٣

٤- معمودية المسيح ٢٤

٥- عمل الروح القدس في الأنبياء ٢٤

الفصل الثاني: التسليم الكنسي، وأداة التعريف "أل" ٢٦

هل هناك فرق بين المواهب والأقنوم؟ ٢٨

ماذا كان وعد المسيح لنا؟ ٣٠

شهادة التسليم الكنسي ٣٢
الفصل الثالث: عمل أقنوم الروح القدس في رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون..... ٣٦
أولاً: وحدة جوهر وحياة الثالوث لا تقبل الانقسام..... ٣٦
ثانياً: بشارة الملاك لوالدة الإله ٣٩
ثالثاً: سر المعمودية ٤٠
رابعاً: معمودية الرب يسوع في نهر الأردن ٤٢
الفصل الرابع: الرب يسوع المسيح قَبِلَ الروح القدس لأجلنا..... ٤٥
أولاً: شهادة القديس أثناسيوس ٤٦
ثانياً: شهادة القديس كيرلس ٤٦
المقطع الأول: وهو خاص بإخلاء الابن لذاته ٤٧
المقطع الثاني: وهو خاص بخلق الإنسان على صورة الله ٤٧
المقطع الثالث: كيف أُعيدت إلينا النعمة غير المغلوبة؟ ٤٩
المقطع الرابع: تدبير الخلاص..... ٤٩
المقطع الخامس: نحن نأخذ الروح القدس من المسيح..... ٥٠
الفصل الخامس: عودة إلى نسمة الحياة، أو نفخة الروح القدس ٥٢
المسيح يُعطي نسمة الحياة بعد القيامة ٥٣
العلاَّمة أوريجينوس ٥٣
ديديموس الضرير ٥٣
القديس كيرلس السكندري ٥٤
البابا يوحنا الثالث:..... ٥٥

تعليم الإسكندرية كما يشرحه القديس كيرلس السكندري..... ٥٥

الفصل السادس: شهادة إنجيل يوحنا، وشرح القديس كيرلس الكبير.....٥٧

يوحنا ١: ١٢ "أما كل الذين قبلوه، الذين يؤمنون باسمه، أعطاهم القوة (السلطان) ليصيروا أبناء الله"..... ٥٧

يوحنا ١: ١٤ "الكلمة صار جسداً وسكن فينا"..... ٥٩

معمودية الرب (يوحنا ١: ٣٢-٣٣) ٦٠

كيف يشرح القديس كيرلس التدبير؟..... ٦١

نتائج السقوط..... ٦٢

تدبير الخلاص..... ٦٢

شرح يوحنا ٣: ٣-٤ مَن لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات..... ٦٣

تعليق القديس كيرلس على سوء استعمال كلمات موهبة ونعمة وعطية ٦٤

الروح القدس يعلن الرب يسوع، وليس هو روح قدس..... ٦٥

الروح يعطي حياة والجسد لا يفيد شيئاً (يوحنا ٦: ٦٣) ٦٨

الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة (يوحنا ٦: ٦٣) يسوع يملأ جسده بالروح القدس ٦٩

تعليق القديس كيرلس على استخدام روح للابن ٦٩

لم يكن الروح قد أعطي بعد (يوحنا ٧: ٣٩)..... ٧٠

الابن لم يقبل الروح لذاته..... ٧٢

لماذا سكب الروح بعد القيامة؟..... ٧٢

الروح القدس في العهد القديم، والفرق بين عمل الروح في العهد القديم والجديد: .. ٧٣

الباراكليت في إنجيل القديس يوحنا، هل هو روح قدس أم الروح القدس..... ٧٤
روح الحق (يوحنا ١٤: ١٧ – ١٥: ٢٦ – ١٦: ١٣)..... ٧٥
يسوع والباركليت في إنجيل يوحنا ٧٨
الفصل السابع: شرح النصوص الخاصة بالباركليت للقديس كيرلس عمود الدين ٨٠
المعزِّي الآخر (يوحنا ١٤: ١٦-١٧)..... ٨٠
كيف أعادنا تجسد الابن إلى شركة الآب؟ كيف صار حتى الجسد مشتركاً في الآب؟ ٨٢
إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً (يوحنا ١٤: ٢٣)..... ٨٣
الفصل الثامن: أداة التعريف (الـ) الخاصة بالروح القدس في رسائل القديس بولس..... ٨٥
رسائل القديس اثناسيوس إلى سرابيون ٨٥
أولاً: أداة التعريف الـ الخاصة بعمل الروح القدس حسب الأصل اليوناني..... ٩٧
جسدٌ واحد – روحٌ واحد – ربٌّ واحد ٩٩
ثانياً: صيغة المضاف إليه الخاصة بالروح القدس حسب الأصل اليوناني ١٠١
الروح القدس، وعمل الثالوث الواحد بالروح القدس ١٠٢
جواهر القديس أثناسيوس ١٠٥
في الروح..... ١٠٦
لا يجب أن نخطئ لأن التعليم واضح..... ١٠٧
ما هو المقصود بتعبير "الروحاني"؟ ١٠٨

الفصل التاسع: شهادة الطقوس الكنسية أو الروح القدس في الليتورجية ١٠٩

الروح القدس في استعلان ربنا يسوع المسيح في الليتورجية ١٠٩

استدعاء الروح القدس في صلوات الليتورجيات..... ١١٠

بداية الأنافورة..... ١١٤

استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر ١١٥

ملحق

البحث المقدم من الأنبا بيشوي إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية المنعقدة في إنجلترا في الفترة من ٣ – ٧ أكتوبر ٢٠١٣ بعنوان "انبثاق الروح القدس"..... ١

١– مقدمة:..... ٢

٢– الثالوث القدوس في كتابات الآباء القديسين..... ٣

وكتب القديس باسيليوس الكبير: ٤

عن الابن كتب:..... ٤

وعن الروح القدس كتب:..... ٥

٣– المصطلحات جوهر (أوسيا) وطبيعة (فيزيس) وأقنوم (هيبوستاسيس) وشخص (بروسوبون): ٦

٥– الجوهر والطاقة في المفهوم الثالوثي:..... ٩

٦– بين الانبثاق والإرسال بالنسبة للروح القدس:..... ١٠

٧– الخلاصة ١٠

الجزء الثاني الصراع اللاهوتي حول إنبثاق الروح القدس ١٢

أولاً: اثبات الكتاب المقدس: ١٢

ثانياً: قانون الايمان النيقاوي القسطنطيني..... ١٤

بعض الإدعاءات والرد عليها ١٤

أولاً: ملكية الآب والابن..... ١٤

ثانياً: روح الابن أو روح السيد المسيح..... ١٧

ثالثاً: نفخة الروح القدس..... ١٩

أخيراً نقول: ٢٠

نداء

إلى قداسة البابا تواضروس الثاني،

والآباء الأرثوذكسيين في المجمع المقدس للكنيسة القبطية

ها قد وضعت أمامكم حقائق لا يمكن أن يعاندها أحد؛ لذلك أطلب من محبتكم أن يعلن الأنبا بيشوي –في جلسة محاكمة مجمعية– تنازله عن هذا الرأي، بالرغم من أنه لم يمنح لأيٍّ من الذين، ولا زال يطاردهم، فرصة المحاكمة العادلة.

أمَّا إذا غلبه العناد، فإن قطعه وعزله هو أنسب قرار كنسي، ويكفي ما لحق الكنيسة القبطية الأرثوذكسية من فضائح في التعليم.

أرجو لكم كل توفيق ومساندة من روح الله القدوس،

الروح القدس الذي ينكره الأنبا بيشوي، وينسب عمله إلى طاقةٍ أو قوة.

د. جورج حبيب بباوي

مقدمة للقديس غريغوريوس النزينزي

عن الروح القدس

"لقد فتحت لي فماً لكي اجتذب لي الروح. بهذا الروح أخصص كل كياني وذاتي كلها، وكل أعمالي وكل خطاب أنطق به، وكل تأملي، بل وصمتي أيضاً.

أريده أن يأخذني كلي ويقودني كما يشاء، وحسبما هو موافق، وأن يمنع كل ما لديَّ من الحركة، إذا كانت هذه الحركة لا توافقه.

أنا آلةٌ إلهيةٌ (موسيقية)، وحركةٌ عقليةٌ (روحية أو نطقية)، قد ضبطتُ إيقاع أوتارها لكي يعزف الموسيقار، أي الروح عليها" (خطاب ١٢: ١).

وبعد ذلك يقول:

"إليه قد أعطيت ذاتي ورأسي الذي مسح بزيت الكمال بالآب ضابط الكل والابن الوحيد الكلمة وبالروح القدس الذي هو الله" (خطاب ١٢: ٦).

وفي الخطاب (٢٤: ١٢) الذي يحاب فيه الأريوسيين، يقول:

"لماذا تقاومون ميلادي الجديد الكامل؟ ماذا تظنون من أكون؟ هيكل الروح القدس، أم مكان لسكنى مخلوق؟".

وهذه أنشودة شاعر كبادوكية غريغوريوس يكتبها لنا في الخطاب ٤١: ٩:

"الروح القدس هو دائماً كائنٌ وسيكون، بلا بداية وبلا نهاية، بل هو دائماً في رتبة، ويُحسَب مع الآب والابن. لأنه لم يكن هناك وقتٌ بالمرة كان فيه الآب بدون الابن أو الروح بدون الابن ...

الروح يُشرِك الكلَّ فيه، وهو لا يشترك في أحد. يكمل الكل ولا ينال الكمال. يملأ ولا يمتلئ. يقدِّس ولا يتقدَّس. يولِّه ولا يتألَّه[١]. هو ذاته دائماً لا يتغير مثل الذين يُحسَب معهم (الآب والابن): غير منظور، أبدي، لا يحتويه آخر، غير تغير، لا يُحسَب كماً ولا نوعاً، بلا شكل، غير مدرَك حسياً، يحرك ذاته بإرادته، ويتحرك دائماً حسبما يشاء هو، هو ذاتي القوة والقوي .....

هو الحياة، ويخلق الحياة. هو النور، ويوزِّع النور. هو الصلاح، ومصدر كل صلاح. هو روح الاستقامة (الحق) السيد، الرب، هو يرسل، ويفرز، ويبني

---

(١) لا ندري لماذا يخلق استخدام الفعل "يؤلِّه" الفزع في عقولٍ ترفض مشاركة الله لنا في حياتنا، في حين أن شركتنا في الطبيعة الإلهية لا تجعل الإنسان مثل الله. ولذلك، ليت الهَوَس والجنون يتوقفان؛ لأن من يتأله يصبح خالداً مثل الله، ولا يصبح هو الله؛ لأن الفعل يؤلِّه يعني عدم وجود الألوهة، ولكن نوال النعمة. ونوال النعمة –حسب التعليم الأوطاخي الذي دخل عقول كثيرة– هو الذي يحول المخلوق إلى خالق؛ لأن أوطاخي هو أول من قال إن جسد المسيح الإنساني ذاب في اللاهوت، وهذا هو المثال والمصدر غير الأرثوذكسي الذي يستند عليه كل من الأنبا شنودة والأنبا بيشوي في حربهما ضد نعمة الشركة في الطبيعة الإلهية، في حين أنه متى حلَّ الروح القدس فينا، فنحن لا يمكن أن نتحول إلى ما هو مستحيل تماماً على الطبيعة المخلوقة من العدم.
إن الذين قالوا إن سكنى الله فينا تحولنا إلى الله، تجاهلوا أننا خلقنا من العدم، ولا يمكن أن نصل إلى الوجود الإلهي "الواجب الوجود" الذي لم يوجده أحد. متى يكف هذا الجنون؟

هيكلاً لذاته، يقود، ويعمل كما يريد، يوزع العطايا، هو روح التبني، والحق، والحكمة، والفهم، والمعرفة، والمخافة، والمشورة، والقوة ....

بواسطته عُرِفَ الآب، وتمجَّد الابن، وبواسطته (الروح) عرفناه (الابن). هم (الثالوث) رتبة واحدة، تمجيد واحد، خدمة (عبادة)، قوة، كمال، تقديس. ولماذا يجب أن يطول الكلام؟ كل ما هو للآب هو للابن ما عدا الولادة، وكل ما هو للابن هو للروح ما عدا البنوة. هذا لا يقسِّم الجوهر ....."

هكذا يزأر أسد كبادوكية في عاصمة الإمبراطورية عندما امتلك الأريوسيون كنائس العاصمة، وظل هو يحتفظ بكنيسة واحدة صغيرة شعَّ منها نور الإيمان الرسولي الذي ثبَّتته المجامع المسكونية.

ليت هذا الصوت يدخل إلى الضمائر والقلوب، وتسمعه الآذان.

كلمة لا بُد منها

متى يكف الأنبا بيشوي عن شرح عقائد لم يدرسها؟

قدَّم الأنبا بيشوي مطران دمياط بحثاً إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية، والمنعقدة بإنجلترا في الفترة من ٣ – ٧ أكتوبر ٢٠١٣ بعنوان "انبثاق الروح القدس"، وهو مكون من جزئين، الأول بعنوان "وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية فيما يخص انبثاق الروح القدس"، والثاني بعنوان "الصراع اللاهوتي حول انبثاق الروح القدس"[١].

والبحث المشار إليه لا يمكن وصفه بأقل من أنه "فضيحة"، ليس فقط على صعيد الإيمان، بل وأيضاً على صعيد المنهج الذي يستخدمه الأنبا بيشوي في فهم ودراسة نصوص الآباء والكتاب المقدس.

ففي ص ٧ من البحث المذكور يقول في عبارة واضحة، وفي جسارةٍ غريبة منكراً أقنومية الروح القدس: "كلما تكلم الآباء عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن كانوا يقصدون مواهب الروح وطاقاته فقط".

هذا غير صحيح بالمرة للأسباب الآتية:

أولاً: لأن الآباء في الشرق لم يستخدموا فعل الانبثاق الخاص بأقنوم الروح

---

(١) ننشر صورة من هذا البحث كملحق لهذه الدراسة، علماً بأن هذا البحث لا يختلف في كثير عن بحثين آخرين سبق تقديمها لهذه اللجنة في سنوات سابقة، وكان المطران ينشرهما على موقعه على شبكة المعلومات الدولية، ولكنه لسبب لا نعرفه، قام بحذفهما من على الموقع المذكور في الفترة الأخيرة.

القدس للقول بانبثاق الروح القدس من الآب والابن. وندعو نيافة المطران لأن يقدم لنا نصَّاً واحداً غير مزوَّرٍ لواحد من الآباء الذين يدَّعي عليهم هذا الادعاء.

ثانياً: إذا عجز نيافة المطران عن أن يقدم لنا نصاً يؤكد ما ادعاه، وهو سيعجز حتماً، عندئذٍ يصبح القول بانبثاق الروح القدس من الآب والابن، وأن هذا خاصٌ بالمواهب والطاقة، هو قولٌ خاص بالمطران لا بالآباء، وهوما يُعدُّ إنكارٌ صريح لأقنومية الروح القدس؛ لأنه ليس مواهب ولا طاقات، بل الأقنوم الثالث الذي يعطي المواهب.

ثالثاً: إن ما قدمه نيافة المطران في الجزء الثاني من البحث، ينفي ما ذكره في الجزء الأول؛ لأن إرسال الروح القدس من الآب (يو ١٥: ٢٦) بواسطة الابن، يؤكد أقنومية الروح لا إعطاء مواهب، بل مجيء الروح القدس نفسه.

نص كلام الرسول بولس، بل كلام الرب نفسه

في الوقت الذي يقول فيه رسول المسيح: "إن الله أرسل روح ابنه" (غلا ٤: ٦)، تقول نيافتك عن ذلك في ص ١٢ من البحث المذكور: إن "الذي في قلوبنا هو مواهب وعطايا الروح الفائقة وليس جوهر الأقنوم. وإلَّا لصرنا نحن الروح القدس نفسه. إن المواهب والعطايا زمنية وليست أزلية وما يسكن في قلوبنا هو عطايا زمنية وليس الجوهر الإلهي. إن كان في داخلنا الجوهر الإلهي لصرنا آلهة بكل معنى كلمة الألوهة".

وهذا الكلام أيضاً مردود عليه:

أولاً: لم يكن رسول الرب يتكلم عن مواهب، بل عن روح الابن. وروح الابن ليس بمواهب؛ هذا إنكار لوحدة جوهر اللاهوت؛ لأن روح الابن هو روح الآب أيضاً، وعمل الروح القدس متمايز عن عمل الابن، ولكنه عملٌ واحدٌ يسمى التدبير.

ثانياً: لماذا تسقط في إنكار ألوهية الروح القدس؟ إذا كانت المواهب والعطايا تنبثق من الآب والابن كما ذكرت نيافتك، ثم تعود وتقول إنها زمنية، فأنت بذلك تكون

قد حولت الروح القدس إلى مخلوق؛ لأن ما هو زماني وغير أزلي هو غير باقٍ.

ثالثاً: وماذا عن نعمة البنوة (غلا ٤: ٤ – ٦)، هل هي زمانية وسوف تنتهي أيضاً، أم أنها نعمة أبدية؟ إذا كانت زمنية، فالفاعل زماني ومخلوق أيضاً.

رابعاً: إن سكنى الروح القدس بالأقنوم أو بالجوهر لا تحوِّل الإنسان إلى الله. هذا الهذيان يجب أن يقف عند هذا الحد للأسباب الآتية:

١– إن روح الآب مسح يسوع، وصار المسيح، وظل يسوع المسيح هو ابن الإنسان بعد مسحه بالروح القدس، ولم يَذُب ناسوته، ولم يتحول إلى لاهوت.

٢– هذه الطريقة في التفكير لا تدل أبداً على فهم صحيح لتجسد الابن، وبالتالي من غير المنتظر أن تقدم شرحاً صحيحاً لكلمات رسول الرب: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١ كو ٣: ١٦). ولو كان المقصود بسكنى الروح القدس في هذا النص هو مواهب فقط كما تقول لصارت المواهب أقانيم متعددة!!! وهذا ضد ما جاء في (١ كور ١٢ – ١٤)، حيث يذكر الرسول أنواع الخدم – أنواع المواهب. كما يذكر أن الرب واحد الذي يعمل الكل، والروح واحد لا ينقسم.

نفخة الروح القدس

يقول المطران في ص ١٣ من البحث المذكور: "إن السيد المسيح لم ينفخ ذات جوهر أقنوم الروح القدس في وجه تلاميذه، ولكنه نفخ سلطانه ومواهبه المختصة بالحل والربط، وغفران الخطية (مثل نفخة رئيس الكهنة في سيامة الكاهن)". ولذلك حينما يُذكر أقنوم الروح القدس في ذاته في الكتاب المقدس، فإنه يذكر مع أداة التعريف (الروح القدس) ... أمَّا حينما يذكر الروح القدس من جهة مواهبه وسلطانه وعطاياه، فيذكر بدون أداة التعريف (روح قدس) ... لذلك فإن الترجمة الصحيحة لقول السيد لتلاميذه عندما نفخ في وجوههم هي مثلما ورد في يو ٢١: ٢٢ (أقبلوا روحاً قدساً)، والمقصود

بذلك هو موهبة الكهنوت التي هي من مواهب الروح القدس والكنيسة.

هذا الفهم الأعرج يقتضي منا رداً مفصلاً، **أولاً** فيما يخص أداة التعريف "أل"، وهل يختلف المعنى إذا ورد تعبير الروح القدس بدون أداة التعريف؟ و**ثانياً** فيما يخص المقصود من نفخة الروح القدس كما ورد في إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢.

تمهيد

طرحُ المشكلة:

هل هناك فرق عقيدي بين

"الروح القدس"، و "روحٌ قدس"؟

ما بين التجسد واللغة

لم تولد المسيحية من كتاب، ولا أسَّس اللاهوتَ نصوصٌ، بل جاء التجسد رسالة حياة شخص، وهو أقنوم الابن له المجد. وليس كتابٌ هو ما أكمَلَ استعلان الله، بل انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين.

تاريخياً، بدأت الحرب على المسيحية بنصوص الكتاب المقدس بواسطة أريوس والأريوسيين، وأكمل كل الهراطقة –بعد ذلك– مسيرة أريوس. ومن هنا نشأ الصراع على تفسير هذا النص وذلك القول. ولكن التفسير في القرون الخمسة الأولى كان يقف على أرضية غير تلك التي ظهرت بعد القرن السادس عشر (حركة الإصلاح)، تلك الحركة التي أقامت الكتاب المقدس حكماً على الكنيسة في العصر الوسيط في الغرب.

كانت الكنيسة في القرون الخمسة الأولى تشرح كلمات الكتاب في نور الضوابط الآتية:

أولاً: تجسد ابن الله واستعلان الله، لا في حروفٍ، ولا في كلمات، بل في الابن المتجسد (عب ١: ١، ومقدمة ص ١ من إنجيل يوحنا). وهذا يعني –حسب العهد الجديد نفسه:

١– حضور الرب، رأس الكنيسة، وهو كائن يوزع حياته، وقدم لنا شركةً لم تكن متاحةً من قبل.

٢– الاشتراك في العلاقة بين أقانيم الثالوث، أي علاقة الابن كوسيط بالآب، ثم استعلان هذه العلاقة الثالوثية بواسطة الروح القدس، وبالتالي علاقة الروح القدس بالابن.

ثانياً: هذه الشركة تعني:

١– تجديد وولادة الإنسان ولادة جديدة. خلقٌ جديد؛ لأن الخلق الأول في آدم نال صورة المسيح، آدم الثاني، ومن هنا بالذات بدأت ملامح العلاقة الجديدة تُظهر علاقة رأس الجسد بالجسد وبالأعضاء، وبالحضور الإلهي الدائم الأبدي في الكنيسة، حضوراً يجمع أعضاء الجسد الواحد لحياةٍ جديدةٍ.

٢– إن ما يقدَّم في الحياة الجديدة، هو ما يقدَّم في السرائر، وبالذات، في أسرار الانضمام إلى الكنيسة، في المعمودية والمسحة الإلهية، والإفخارستيا. فالعلاقة إذن ليست علاقة لفظية، بل هي علاقة كيانية، علاقة حياة ووجود يصل إلى كماله بالقيامة في اليوم الأخير.

ثالثاً: السلوك حسب الإنجيل هو ثمرة هذه العلاقة، لا مصدرها؛ لأننا ننال نعمةً جديدةً تعطي لنا الأمانة – القداسة – المحبة – الصفح – الشهادة، بل وتعطينا أن نشارك حياتنا مع أعضاء الجسد الواحد.

مشكلة اللغة والفقه

تلك مشكلةٌ سبق أن عالجها القديس أثناسيوس الرسولي، عندما تعرَّض –بالذات– لمشكلة أداة التعريف ألـ في الرسائل الخمس إلى سرابيون عن الروح القدس، وهي –أي هذه الرسائل– التراث والتسليم الذي أغفله مطران دمياط.

هذه المشكلة أيضاً –مشكلة اللغة– عالجها أيضاً بذات الطريقة، القديس باسيليوس الكبير في كتابه عن الروح القدس، وهو أهم ما ورد في التسليم الكنسي، وبالذات عندما عالج القديس باسيليوس مشكلة حروف الجر، وقد أشرنا إلى هذا في مقدمة الطبعة الثانية لهذا الكتاب[١]

ولكن البحث عن قواعد اللغة ودورها في شرح الأسفار عاد يظهر من جديد بعد حركة الإصلاح، فقد أثار أحد علماء العهد الجديد في مطلع القرن الماضي[٢] السؤال عن الفرق بين الروح القدس، وروحٌ قدس، دون أن يعالجه بطريقة واضحة. وكانت حجته هي أن النص اليوناني للعهد الجديد يستخدم تعبيرين:

– الأول: το πνευμα το αγιον أي الروح القدس.

– الثاني: πνευμα αγιον أي روح قدس بدون أداة التعريف ألـ.

وبالتالي حينما يرد التعبير الأول "الروح القدس το πνευμα το αγιον" يكون المقصود به الأقنوم الثالث من الثالوث. أمَّا حيثما ورد تعبير "روح قدس πνευμα αγιον"، يكون المقصود به موهبة أو نعمة أو عطية من عطايا الروح القدس، وليس الروح القدس نفسه.

---

(١) منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

(٢) راجع: F. A. Hort "The Fist Epistle of St. Peter" 1898 p 61.

وفي سنة ١٩٦٥ عالج الموضوع بطريقة أكمل العالم المعروف *Turner*[١] وبطريقة شعبية مبسطة العالم *Bullinger*[٢].

وكان من الضروري، وقد طُرِحَ السؤال منذ ١٨٩٨م، أي منذ نشر العالم المعروف *Hort* دراسته عن العهد الجديد أن يتصدى عددٌ لا حصر له من علماء العهد الجديد لمناقشة المشكلة، لاسيما وأن النصوص التي تتحدث عن "روح قدس" بدون أل التعريف تمس الحياة المسيحية بصورة مباشرة.

ولعل أكثر من عالج هذه النقطة مؤكِّداً أن العهد الجديد لا يعرف بالمرة الفرق بين التعبيرين في اليونانية το πνευμα το αγιον أي الروح القدس، و πνευμα αγιον أي روح قدس، هو العالم *C. F. D. Moule*[٣] لأن كلا التعبيرين إنما يخص الروح القدس نفسه وليس روحاً قدساً.

وقد بنى العالم *Moule* دراسته على دراسة أخرى أطول وأشمل صدرت في عام ١٩٣٨م للعالم الألماني المعروف *Adler*[٤].

أمَّا عندنا في مصر فقد صِيغت المشكلة على النحو التالي:

حينما تُذكر عطية أو موهبة من مواهب الروح القدس، فإن العهد الجديد لا يستخدم تعبير "الروح القدس"، بل "روح قدس". وبالتالي نحن لا نأخذ الروح القدس نفسه، أو أقنوم الروح القدس، بل مواهب الروح فقط.

وكأننا بذلك نعود إلى ذات المشكلة التي طُرِحَت في الغرب في سنة ١٨٩٨م مع تأكيد على أننا لا نأخذ الروح القدس نفسه، بل مواهبه.

---

(١) راجع: N. Turner "Grammatical Insights into the New Testament," 1965 pp 17 – 22.

(٢) راجع: E. W. Bullinger "The Giver and his Gifts" 1905. pp 24- 41.

(٣) راجع: C. F. D. Moule "An Idiom Book of the New Testament," 1950 pp 11 ff.

(٤) راجع: N. Adler "The Christian Gift of Pentecost" 1938.

ولما لم يكن هذا الموضوع قد عُولج بكفاية عندنا في مصر؛ كان من الضروري أن نطرحه بشكل علمي، حتى يتبين القارئ فيه الحقيقة، ويمكنه أن يقارن بين ما يستخلصه البعض من نصوص الكتاب المقدس على غير حقيقته، وبين ما تعبر عنه هذه النصوص بالفعل، وذلك من خلال دراسة نصوص العهد الجديد ذاتها، مع ملاحظة ما يأتي:

أ– حيثما ورد في النص العربي تعبير "الروح القدس"، فإن ذلك يعني وجود أداة التعريف أل في الأصل اليوناني.

ب– حيثما ورد في النص العربي تعبير "روح قدس"، فإن ذلك يعني عدم وجود أداة التعريف أل في الأصل اليوناني.

ج– اعتمدنا على الطبعة اليونانية – اللاتينية للعهد الجديد التي نشرها معهد الكتاب المقدس في روما سنة ١٩٦٤ تحت اسم: NOVUM TESTAMENTUM, Greace et Latine.

الفصل الأول

كيف استخدم العهد الجديد كلا التعبيرين؟

إن أول ما نلاحظه هو أن العهد الجديد يستخدم التعبيرين معاً للتعبير عن أقنوم الروح القدس، دون أن يميِّز بين "الروح القدس"، و "روح قدس". ولعل هذه الأمثلة هي خير دليل على ما نقول:

١- وعد يسوع لتلاميذه قبل صعوده.

* ليس بعد هذه الأيام بكثير سوف تتعمدون بروح قدس εν πνευματι αγιω. (أع ١: ٥).

* ستنالون قوة متى حلَّ الروح القدس επελθοντος του αγιου πνευματος (أع ١: ٨).

* وامتلأ الجميع من روح قدس πνευματος αγιου (أع ٢: ٤)، بينما في نص النبي يوئيل ٢: ٢٨ يؤكد أنه الروح القدس: "وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ". فكيف يتحدث الرب عن "روح قدس" في أعمال ١: ٥، ثم في أعمال ١: ٨ يكون الحديث عن "الروح القدس"؟ هل كان يتحدث عن شيئين مختلفين؟ بكل تأكيد لا؛ لأن الروح الواحد هو المقصود.

٢- الروح القدس في يوم الخمسين

* "وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ رُوحِ قُدُس πνευματος αγιου" (أع ٢: ٤، كذلك في ٤: ٨،

٩: ١٧، ١٣: ٩ و ٥٢). هنا في يوم الخمسين امتلأ التلاميذ من روح قدس، مع أنَّ الذي جاء هو الروح القدس نفسه. وماذا نقول عن النصوص الآتية الخاصة بحلول الروح القدس على أهل السامرة حيث يقول سفر الأعمال بكل وضوح:

* "حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا رُوحَ قُدُس" (أع ٨: ١٧).

* "أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضاً هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ رُوحَ قُدُسَ" (أع ٨: ١٩).

وقد نقول إن هذا يتمشى تماماً مع اختبار يوم الخمسين، حلَّ "روح قدس"، وامتلأ الرسل من "روح قدس"، وكذلك أهل السامرة أخذوا مثل الرسل "روح قدس"، لكن علينا أن نلاحظ النصوص الآتية:

* "لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ عَطِيَّةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ την δωρεαν του θεον" (أع ٨: ٢٠)، وإذا رجعنا إلى تعبير عطية الله، نجد أنه تعبير يُراد به الروح القدس.

* "فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ την δωρεαν του αγιον πνευματο" (أع ٢: ٣٨).

* "فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ ..... لأَنَّ عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضاً η δωρεα του αγιον πνευματος" (أع ١٠: ٤٥).

فما أُشير إليه على أنه "روحُ قدسٍ"، وُصِفَ بعد ذلك بأنه عطية الروح القدس، وإلاَّ يكون أهل السامرة قد أخذوا عطية الروح القدس، بينما أخذ الرسل "روح قدس" فقط!

٣- اختبار كرنيليوس

* "فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهَذِهِ الأُمُورِ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ το πνευμα το αγιον عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ" (أع ١٠: ٤٤).

* "فَلَمَّا ابْتَدَأْتُ أَتَكَلَّمُ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ το πνευμα το αγιου عَلَيْهِمْ كَمَا عَلَيْنَا أَيْضاً فِي الْبَدَاءَةِ" (أع ١١: ١٥).

والعجيب أن القديس بطرس -وهو يشرح اختبار كرنيليوس- يضيف: "حلَّ الروح القدس عليهم كما حلَّ علينا أيضاً في البدء".

* سبق لنا أن اقتبسنا نص أعمال ١٠: ٤٥ وهو خاص بـ "عطية الروح القدس"، وهو نص مرتبط بلا شك بنص أعمال ١٠: ٤٤.

* "أَتُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لاَ يَعْتَمِدَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضاً؟" (أع ١٠: ٤٧)، وهنا نلفت النظر إلى أن الاختبار هو ذاته το πνευμα το αγιον.

* "اللَّهُ الْعَارِفُ الْقُلُوبَ شَهِدَ لَهُمْ مُعْطِياً لَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ το πνευμα το αγιον كَمَا لَنَا أَيْضاً" (أع ١٥: ٨).

* وهناك نص أعمال ١١: ١٦، ١٧ وهو نص هام يشكِّل خلفية اختبار كرنيليوس، حيث يقول القديس بطرس: "فَتَذَكَّرْتُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ: إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَاءٍ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتُعَمَّدُونَ بِرُوحٍ قُدُسٍ. فَإِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَعْطَاهُمُ الْعَطِيَّةَ كَمَا لَنَا أَيْضاً بِالسَّوِيَّةِ مُؤْمِنِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَمَنْ أَنَا؟ أَقَادِرٌ أَنْ أَمْنَعَ اللهَ؟».

٤- معمودية المسيح

يقول القديس لوقا في إنجيله عن معمودية المسيح: "وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ το πνευμα το αγιον" (لو ٣: ٢٢)، بينما عندما يتحدث عن نفس الموضوع، أي معمودية المسيح في سفر أعمال الرسل، يقول: "يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِرُوحِ قُدُسٍ وَقُوَّةٍ πε πνευματι αγιω και δυναμει"، فهل يعقل أن يكون يسوع قد مُسِحَ بالروح القدس في الإنجيل، بينما يمسح بروح قدس في سفر الأعمال؟ أليس الروح القدس هو نفسه الذي يوصف بأنه روحٌ قُدس؟

يستخدم القديس لوقا فعل يقبل λαμβανω خمس مرات، في أربعٍ منها يتحدث عن قبول روح قدس πνευμα αγιον في أعمال ٨: ١٥، ١٧، ١٩، ثم في أعمال ١٩: ٢. ولكنه يستخدم الفعل مرةً واحدةً يتحدث فيها عن قبول الأمم الروح القدس وذلك في أعمال ١٠: ٤٧.

فهل هناك فرق بين "الروح القدس"، و "روحٌ قدس"؟ بالتأكيد لا.

ومن الطريف أن نلاحظ أن المسيح حُبِلَ به بالروح القدس، ومع ذلك فحسب نص لوقا ١: ٣٥ "رُوحُ قُدُسٍ يَحِلُّ عَلَيْكِ"، فهل يحل روحُ قدسٍ على العذراء، بينما يحل الروح القدس على التلاميذ كما في أعمال ١: ٨؟

٥- عمل الروح القدس في الأنبياء

نقول في قانون الإيمان: "الروح القدس الناطق في الأنبياء"، ويقول القديس لوقا: "كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ الَّذِي سَبَقَ الرُّوحُ الْقُدُسُ το πενμα το αγιον فَقَالَهُ بِفَمِ دَاوُدَ" (أع ١: ١٦)، وبالتالي نحن هنا أمام الروح القدس نفسه الذي نطق بفم داود. ولكن القديس لوقا يعود فيقول: "الْقَائِلُ بِرُوحِ قُدسٍ πνευματος αγιον διαبِفَمِ دَاوُدَ" (أع ٤: ٢٥). فهل تغيَّر الروح القدس وهو ينطق

بفم داود من الروح القدس إلى روح قدس؟ الجواب هو لا بكل تأكيد.

لقد لاحظنا أن الذي حلَّ على المسيح في المعمودية حسب لوقا ٣: ٢٢ هو الروح القدس، ولكن في متى ٣: ١٦ "وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ πνευμα θεου نَازِلاً". وفي مرقس ١: ١٠ "رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ το πνευμα مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ". فما يُسمَّى "روح الله" بدون أداة التعريف أل في متى، هو نفسه الذي يُسمَّى "الروح" فقط في مرقس مع استخدام أداة التعريف أل.

لكن كيف نفسِّر هذه الظاهرة لاسيما عندما يستخدم نفس الكاتب في نفس الإصحاح تعبير "روح قدس"، ثم يعود بعدها ويستخدم تعبير "الروح القدس"، ألا يؤكد لنا ذلك أن الذين كتبوا لم يعيروا أداة التعريف أل أي اهتمام؟ ولذلك يمكننا هنا أن نقرر بكل استقامة أن اللاهوت لا يخضع لقواعد الإعراب[١].

(١) كتبنا فصلاً كاملاً عن هذه القضية بعنوان: "الإيمان المسيحي بين فقه اللغة والتسليم الآبائي" في كتابنا موت المسيح على الصليب، راجع ص ٣٤١ وما بعدها، علَّ المطران يجد فيه ضالته، فيعود عن غيه.

الفصل الثاني

التسليم الكنسي، وأداة التعريف "أل"

بالطبع، سبق أن طُرِحَ السؤال عن أداة التعريف (أل) في زمن القديس أثناسيوس عندما تطوَّر الجدل الأرثوذكسي مع الأريوسية وطال موضوع الروح القدس. فماذا يقول أثناسيوس عن هذه النقطة بالذات؟

> "قولوا لنا إذن، هل توجد فقرة في الكتاب المقدس الإلهي تشير إلى الروح القدس بكلمة "روح" فقط بدون إضافة كلمة أو حرف إليها مثل الله أو الآب أو ياء المتكلم أو المسيح نفسه أو الابن أو مني (أي من الله)، أو أداة التعريف أل، فلا يقال روح، بل "الروح"، أو الاصطلاح الكامل "الروح القدس"، أو "روح الحق"، أي روح الابن الذي يقول: "أنا هو الحق" (يو ١٤: ٦) ...
>
> وبالإيجاز نقول إنه إن لم تُضَف أداة التعريف أل أو إحدى الإضافات السابقة، فإن الكلمة لا تشير إلى الروح القدس. خذ مثلاً ما كتبه بولس إلى أهل غلاطية "أريد أن أتعلم منكم هذا فقط أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان" (غلا ٣: ٢). فماذا قبلوا إلاَّ الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويولدون ثانيةً بغسل الميلاد الثاني (تيطس ٣: ٥).
>
> وعندما كتب إلى أهل تسالونيكي "لا تطفئوا الروح" كان يتحدث إلى الذين يعرفون من هو الذي قبلوه لئلا بسبب الإهمال يطفئوا نعمة الروح الذي كان قد اشتعل في داخلهم. وعندما استخدم الإنجيليون في الأناجيل اصطلاحات

بشرية عن المخلِّص من أجل الجسد الذي اتخذه، قالوا: "أمَّا يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً بالروح" (لو ٤: ١)، "ثم أُصعِدَ يسوع إلى البرية من الروح" (مت ٤: ١)، فإنها هي نفس الكلمة، وذات المعنى الذي سبق لوقا وذكره "ولما اعتمد الشعب اعتمد يسوع أيضاً وكان يصلي انفتحت السماء ونزل عليه الروح الدس بهيئة جسمية مثل حمامة" (لو ٣: ٢١ – ٢٢). هذه توضح جلياً أن الروح القدس هو المقصود بكلمة "الروح"، وهكذا أيضاً حينما اقترن اسم الروح القدس بالبشر —حتى وإن ذُكِرَ بدون أية إضافة لأسمه— فلا شك في أن الروح القدس هو المقصود بالذات لاسيما عندما تضاف إليه أداة التعريف"[١].

وهكذا يتضح لنا أن القديس أثناسيوس وهو يشعر بأهمية ما سيقال عن أداة التعريف ألـ يقول حيثما ذُكِرَ الروح بأداة التعريف، فإن الروح القدس هو المقصود به، ولكن "حينما اقترن اسم الروح القدس بالبشر –حتى وإن ذُكِرَ بدون أية إضافة لأسمه– فلا شك في أن الروح القدس هو المقصود بالذات لاسيما عندما تضاف إليه أداة التعريف".

فمن المؤكد أن هذا الرجل الذي حصر عدد المرات التي ورد فيها ذكر الروح القدس في العهدين قبل أن يكتب رسائله، شعر بالمشكلة، ولكنها لم تزعجه بالمرة؛ لأن المعنى واضح ومعروف، أنه لا يوجد روح قدس مختلف أو غريب عن الروح القدس، وأن أداة التعريف ألـ لا تغيِّر المعنى بالمرة.

(١) القديس أثناسيوس الرسولي، الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، الطبعة الثانية، سلسلة نصوص آبائية رقم ٩٥، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية: ص ٣٣ – ٣٤. مع ملاحظة أن النص الأساسي هو النص اليوناني لمجموعة الآباء اليونانيين مع التدقيق في ترجمة C.R.B.Shapland طبعة ١٩٥١، وهي الطبعة التي استعان بها أستاذنا الدكتور موريس تاوضروس، والدكتور نصحي عبد الشهيد في ترجمة هذه الرسائل.

هل هناك فرق بين المواهب والأقنوم؟

في الحقيقة لم يُطرح هذا السؤال بالمرة في التاريخ الكنسي، ولا تعرف كتب الآباء بأسرها نصاً واحداً يقول إننا لا نشترك في الروح القدس نفسه، بل نشترك في مواهبه فقط. وإذا كنَّا قد أثبتنا من العهد الجديد أن الذي نأخذه هو الروح القدس نفسه، فهل هناك فرصة لأن يطرح العهد الجديد بشكل أو آخر أننا نأخذ مواهب الروح فقط دون الروح نفسه؟

سوف نرى الإجابة على هذا السؤال بكل وضوح.

أولاً: حيثما ذُكرت مواهب الروح القدس فإنها لا تذكر إلاَّ كنتيجة لحلول الروح القدس:

* "وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا" (أع ٢: ٤).

* "فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ لأَنَّ عَطِيَّةَ (مَوْهِبَةَ) الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضاً. لأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ وَيُعَظِّمُونَ اللهَ" (أع ١٠: ٤٥ – ٤٦).

* "وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ" (أع ١٩: ٦).

فليس هناك حالة واحدة في سفر الأعمال نال فيها إنسان واحد موهبة قبل أن يحل عليه الروح القدس، أو قبل أن يمتلأ من الروح القدس.

ثانياً: فإذا اتجهنا إلى أطول نص عن المواهب الروحية في كورنثوس الأولى ١٢ – ١٤، فإننا لا نجد إشارة واحدة إلى موهبةٍ تعطى بدون الروح القدس نفسه، ولكننا سوف

نكتفي بدراسة كورنثوس الأولى ١٢: ٣ – ١٣.

* ٣- "لَيْسَ أَحَدٌ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِرُوحِ اللهِ يَقُولُ: «يَسُوعُ أَنَاثِيمَا». وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ". هل توجد هنا إشارة للمواهب أم للروح القدس نفسه؟

* ٤- "فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ". فالمواهب متعددة، ولكن الروح الذي يعطيها واحد، وبذلك لا تتعدد سكنى الروح، بل هو روح واحد يسكن في الكل، ولكن يعطي مع سكناه مواهب مختلفة. دقق في القراءة.

* ٥ – ٦ "وَأَنْوَاعُ خِدَمٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ. وَأَنْوَاعُ أَعْمَالٍ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ اللهَ وَاحِدٌ الَّذِي يَعْمَلُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ".

* ٧- "وَلَكِنَّهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ يُعْطَى إِظْهَارُ الرُّوحِ لِلْمَنْفَعَةِ". وهنا نلاحظ أن الذي يظهر ليس الموهبة، وإنما الروح، وهذا هو ما يؤكده الرسول بعد ذلك مباشرةً.

* ٨ – ٩ "فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ. وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ". والتشديد هنا على كلمة الروح الواحد تأكيداً على وحدانية الذي يعمل كل هذه العطايا المختلفة والمتنوعة.

* ١٠- "وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ". كل هذه المواهب المختلفة،

* ١١- "وَلَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ".

لماذا يشدد الرسول على سكنى وقبول الروح الواحد؟

كما هو واضح من سياق الكلام لاسيما في العدد ١٢ من تشبيه وحدة المؤمنين

بوحدة الجسد. فالمسيح مثل الجسد، ولكن رغم تعدد الأعضاء، كل عضو هو جزء من الجسد الواحد لا تختلف طبيعة أي عضو عن العضو الآخر. الاختلاف هو في الوظيفة فقط، وذلك كالآتي:

* ١٢- ١٣ "لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ هُوَ وَاحِدٌ وَلَهُ أَعْضَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكُلُّ أَعْضَاءِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةً هِيَ جَسَدٌ وَاحِدٌ كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً. لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً".

فهل ميَّز الرسول بين المواهب والأقنوم؟

ألا يسكن أقنوم الروح القدس في الكل؟ هذه هي سكنى الروح الواحد، وإن كانت المواهب متعددة.

ماذا كان وعد المسيح لنا؟

* "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ. رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ" (يو ١٤: ١٦ - ١٧).

لم يكن وعد المسيح لنا بالمواهب، وإنما بذات الروح القدس.

* "وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو ١٤: ٢٦).

لقد جاء الروح القدس نفسه ليسكن فينا، ولما سكن فينا أصبح الروح الساكن فينا يعلِّمنا داخلياً ويذكِّرنا داخلياً.

* "وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ

يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي" (يو ١٥: ٢٦).

الروح القدس الذي ينبثق من عند الآب هو أقنوم الروح القدس. فهل حلَّ أقنوم الروح القدس، أم غيره هو الذي حلَّ؟

* "وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ....وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يو ١٦: ٨، ١٣).

فنحن لا نعرف الحق، ولا نستطيع أن نعرفه إلاَّ من روح الحق هو نفسه، أي أقنومه هو ، أي شخصه الذي يرشد إلى جميع الحق، ذلك أن قيادة النفوس لا تتم عن طريق المواهب، بل عن طريق شخص الروح القدس نفسه. ومع أن كلمات الرب واضحة، وهي تشهد عن حلول الروح القدس نفسه كأقنوم فينا إلاَّ أنه يلزمنا أن نسأل سؤالاً أساسياً: هل كان مجيء الروح القدس وسكناه فينا مؤقتاً؟ الرب يسوع يقول: "يَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ"، فهو معنا حتى بعد الخروج من الجسد، بل ومعنا في ملكوت السماوات.

فإذا كان الرسول بولس يقول إن "النبوات ستبطل والألسنة فستنتهي والعلم فسيبطل، وإذا كانت النبوة –وهي أعظم عطايا ومواهب الروح القدس "لأَنَّ مَنْ يَتَنَبَّأُ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ" (١كور ١٤: ٥) –ستزول، وإذا كانت المواهب كلها إلى زوال ولا قيمة لها بالمرة في الملكوت، وإذا كنا قد أخذنا المواهب فقط، أفلا يصبح المسيح كاذباً إذ قال إنه "يَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ"؟

إذا كنا قد أخذنا المواهب فقط دون الروح القدس نفسه، فقد خسرنا كل شيء، وهذا هو ما يؤكده الرب يسوع نفسه في حديثه عن الهالكين الذين تمتعوا بمواهب الروح القدس فقط "كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَنَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قُوَّاتٍ كَثِيرَةً؟. فَحِينَئِذٍ أُصَرِّحُ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الإِثْمِ!" (مت ٧: ٢٢ – ٢٣). فهل نطلب المواهب فقط، أم

قيادة وسكنى الروح القدس نفسه؟

شهادة التسليم الكنسي

سنكتفي هنا فقط بشهادة القديس أثناسيوس الرسولي، على أن نتناول شهادة القديس كيرلس الكبير في فصلٍ لاحق.

يقول القديس أثناسيوس:

> "وعندما أعطاه للتلاميذ، قال لهم: "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢)، كذلك علَّمهم قائلاً: "وأما المعزِّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلِّمكم كل شيء" (يو ١٤: ٢٦)، وبعد قليل، قال عن نفس الموضوع: "ومتى جاء المعزِّي الذي أرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦)، وقال أيضاً: "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٢)، وبعد قليل قال: "ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لو ١١: ٢٠). ولكي يكمِّل فيه كل معرفتنا عن الله (أي كل التعليم عن الله) ويضع طقس الانضمام إلى الكنيسة الذي به أتحدنا بشخصه، وبالآب، أوصى تلاميذه قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)[١].

ماذا عن تعبير "**الذي به أتحَدَنا بشخصه**"؟ هل شخص الروح القدس غير أقنوم الروح القدس؟ لا بكل تأكيد. وحتى لا يظن أحد أننا نصطاد كلمةً شاردةً في كتابات القديس أثناسيوس عن الروح القدس يلزمنا أن ندعِّم المعنى الذي ذكره أثناسيوس.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦ – ٣٧ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

يقول القديس أثناسيوس:

"والروح يدعى مسحة، وهو الختم؛ لأن يوحنا يكتب: "أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها (روحه القدس) عن كل شيء" (١يو ٢: ٢٧)..... ويقول بولس: "الذي فيه أيضاً أنتم إذ آمنتم ختمتم ليوم الفداء" (أف ١: ١٣). والمخلوقات ختمت به ومسحت به وتعلمت منه كل شيء. وإذا كان الروح هو المسحة والختم الذي به يمسح الكلمة كل الأشياء ويختمها، فأي شبه أو علاقة يمكن أن تكون بين المسحة والختم وبين المخلوقات التي تُمسح وتُختم؟..... فالختم لا يمكن أن يكون ضمن المخلوقات التي تختم، والمسحة لا يمكن أن تكون ضمن المخلوقات التي تمسح، ولكنه (الختم والمسحة) ينتمي إلى الكلمة الذي يمسح ويختم،.... وهكذا إذ نختم نصير بحق –كما يقول بطرس– "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١: ٤)"[١].

وهكذا يدافع أثناسيوس عن إلوهية الروح القدس باتخاذ عمله فينا في المسحة والختم دليلاً على الإلوهية؛ لأن الذي يعمل فينا هو الروح القدس نفسه الذي بسبب عمله فينا نصبح شركاء الطبيعة الإلهية، وهي شركة مستحيلة إلاَّ إذا كان الروح القدس هو من ذات جوهر الآب، وهو البرهان الذي يكمل به أثناسيوس شرحه.

"وهكذا فكل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح القدس. وفضلاً عن هذا، فإننا بالروح القدس نشترك كلنا في الله؛ لأنه يقول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟" (١كو ٣: ١٦، ١٧).

فلو كان الروح القدس مخلوقاً، لما كانت لنا شركة مع الله فيه. ولو كنا حقاً قد

---

(١) المرجع السابق ص ٧٢ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

اتحدنا بمخلوق لأصبحنا غرباء عن الطبيعة الإلهية لأننا لم نشترك فيها. أما الآن فلكوننا ندعى شركاء المسيح وشركاء الله، فهذا لأن المسحة والختم الذي فينا، ليس من طبيعة الأشياء المخلوقة، بل من طبيعة الابن، الذي يتحدنا بالآب بواسطة الروح الذي فيه. هذا ما علمنا إياه يوحنا – كما قيل سابقاً – عندما كتب قائلاً: "بهذا نعرف أننا نثبت في الله وهو فينا انه قد أعطانا من روحه" (١يو ٤: ١٣). ولكن أن كنا بالاشتراك في الروح نصبح "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط ١: ٤)، فانه يكون من الجنون أن نقول إن الروح القدس له طبيعة مخلوقة لا طبيعة الله. لأن الذين فيهم الروح القدس تصبح لهم الطبيعة الإلهية على هذا الأساس. وإن كان الروح القدس يجعل البشر شركاء الطبيعة الإلهية، فلا شك في أن طبيعته هي طبيعة إلهية"[١].

هكذا يبرهن أثناسيوس على إلوهية الروح القدس من واقع النعمة التي مُنحت لنا، وهي شركة الطبيعة الإلهية. ولما كانت هذه الشركة قائمة على حلول الروح القدس نفسه، والتي بها نصل إلى الابن والآب، فمن المؤكد أن الروح القدس هو الله، وهذا ما يعود ويؤكد عليه مرةً ثانيةً، فيقول:

"كما يقول الكتاب إن الذين استُنيروا مرةً وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة (عب ٦: ٤ – ٥)، فالملائكة وسائر الخليقة تشترك في الروح القدس نفسه"[٢].

فإذا قال أثناسيوس: "الروح القدس نفسه، أي هو ذاته"، فهل يمكن أن يكون لكلمة ذاته أو نفسه أي معنى آخر غير أقنوم الروح القدس؟ وكيف نُوصف بأننا شركاء الروح القدس دون أن نحصل على الروح القدس نفسه؟ كيف ننال مواهب الروح فقط، ثم نُوصَف بأننا شركاء الروح، وهو تعبير على الرغم من ندرته في العهد الجديد، إلاَّ أنه لا

(١) المرجع السابق ص ٧٣ – ٧٤في ترجمة مركز دراسات الآباء.
(٢) المرجع السابق ص ٧٩ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

يوجد تعبير آخر يقول إننا شركاء مواهب الروح القدس. وعن هذه الشركة يقول أثناسيوس مرةً أخرى:

"فالمواهب التي يقسمها الروح لكل واحد تمنح من الآب بالكلمة. لأن كل ما هو للآب هو للابن أيضاً. إذن فتلك الأشياء التي تُمنح من الابن في الروح هي مواهب الآب. وعندما يكون الروح القدس فينا، يكون فينا أيضاً الكلمة الذي يمنح الروح القدس، والآب الذي هو في الكلمة. وهذا يتفق مع ما قيل: "إليه نأتي أنا والآب وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣). لأنه حيث يكون النور فهناك الشعاع أيضاً، وحيث يكون الشعاع فهناك أيضاً فاعليته ونعمته الخالقة"[١].

"وهذا هو ما علَّم به الرسول أيضاً حينما كتب إلى الكورنثيين في الرسالة الثانية قائلاً: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كو ١٣: ١٣). لأن هذه النعمة والموهبة التي تُمنح، إنما تُمنح في الثالوث من الآب بالابن في الروح القدس، وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن، هكذا لا يمكننا أن نشترك في العطية إلاَّ في الروح القدس. لأننا عندما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح نفسه"[٢].

هل هناك أوضح من أن تكون النعمة والموهبة هي شركتنا في الروح القدس؟

---

(١) النعمة الخالقة تعبير هام جداً، يؤكد أن النعمة من الله.

(٢) المرجع السابق ص ٨٦ في ترجمة مركز دراسات الآباء.

الفصل الثالث

عمل أقنوم الروح القدس

في رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون

أولاً: وحدة جوهر وحياة الثالوث لا تقبل الانقسام

"أما ... الذين لهم نفس فكر أريوس، لا يستطيعون أن يدركوا، ولا أن يؤمنوا أن الثالوث القدوس غير قابل للتقسيم؛ لأن الحكمة لا تدخل عقولهم غير المستنيرة"[١].

هذه الوحدة، يؤكد المعلم الكنسي العظيم أنها:

"تقليد الكنيسة الجامعة وتعليمها وإيمانها الذي هو من البداية، والذي أعطاه الرب وكرز به الرسل وحفظه الآباء، وعلى هذا الأساس تأسست الكنيسة، ومن يسقط منه، لن يكون مسيحياً، ولا ينبغي أن يُدعى مسيحياً فيما بعد.

إذن، يوجد ثالوث قدوس وكامل (في جوهره)، نعترف بلاهوته في الآب والابن والروح القدس، وليس فيه شيءٌ غريب، أو يمتزج به من الخارج، ولا يتكون من خالق ومخلوق، ولكن (الثالوث) يبني الكل ويخلق الكل، وهو مساوٍ وغير منقسم حسب الطبيعة وعمله واحد. فالآب بالكلمة في الروح

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٩.

القدس يعمل كل الأشياء، وهكذا (أي بهذا الإيمان) نحفظ نحن وحدة الثالوث القدوس كاملة"[١].

فما هو السبب في هذا الإصرار؟

والجواب سبق أن قِيل قبل ذلك في الفقرة ١٤ من الرسالة الأولى، مؤكداً أن الإيمان الرسولي هو:

"الثالوث القدوس المبارك غير منقسم،

وهو واحد في ذاته One in Himself"[٢].

وعندما نحفظ نحن البشر وحدة الثالوث، فإن السبب الواضح والحقيقي هو:

"عندما نذكر الآب، فالكلمة مُتَضمَّن، والروح أيضاً؛ لأنه في الابن. وعندما نذكر الابن، فإننا نذكر الآب؛ لأن الآب في الابن، ولا يصبح الروح بذلك خارج الكلمة"[٣].

وهذا يعني حسب الممارسة الكنسية:

"لأن النعمة التي من الآب هي واحدة، وهي تتم بالابن في الروح القدس؛ لأن الألوهة واحدة، وإلهٌ واحدٌ هو الذي "على الكل وبالكل وفي الكل" (أف ٤: ٦)"[٤].

ويعود القديس أثناسيوس إلى نفس التعليم الرسولي في الفقرة ٣٠ عندما يشرح

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٠ – ٨١.
(٢) المرجع السابق، الرسالة ١: ١٤، ص ٥٣. وراجع الترجمة الإنجليزية ص ٩٣.
(٣) المرجع السابق ١: ١٤، ص ٥٣.
(٤) المرجع السابق ١: ١٤، ص ٥٤.

البركة الرسولية التي تقال في القداسات، وفي الصلوات الأرثوذكسية، وهي: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله، وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢ كور ١٣: ١٣). وهنا يقول:

"هذه النعمة والهبة تعطى في الثالوث

من الآب

بالابن

في الروح القدس

وكما أن النعمة المعطاة هي من الآب بالابن،

هكذا، فإنه لا يكون لنا شركة في العطية إلاَّ بالروح القدس؛ لأننا حينما نشترك فيه تكون لنا محبة الآب ونعمة وشركة الروح القدس نفسه"[١].

هذا يجعلنا نقف بذات صلابة القديس أثناسيوس الذي رفض تقسيم الثالوث، وهو التقسيم الوافد من الوثنية، والذي جعلته الأريوسية تعليماً خاصاً بها. وهنا نقول لكل الذين يقسِّمون الثالوث إلى عدلٍ، ورحمةٍ — إلى إلهٍ غاضبٍ، وابنٍ مغضوبٍ عليه، أنهم عادوا إلى الوثنية تحت ستار عقيدة الكفارة والفداء. وأمَّا الذين أخذوا هرطقة "أنوميوس" التي تفصل بين الجوهر والأقنوم والقوة الفاعلة *energy* فيقول لهم معلمنا العظيم أثناسيوس:

"فعل (عمل) الثالوث واحد
فالرسول لا يقصد أن ما يُعطى، يُعطى من كل (أقنوم) على حدة (كأن الأقانيم متنوعة ومجزَّأة)،

---

(١) المرجع السابق ١: ٣٠، ص ٨٦.

ولكن، ما يُعطى، إنما هو يُعطى في الثالوث، والكل من الله الواحد"[١].

ويأتي تحذير القديس أثناسيوس بأن تقسيم الثالوث في عقول الهراطقة يفصلهم عن الحياة الإلهية[٢].

وعندما يشرح البركة الرسولية في الرسالة الثالثة، يقول:

"عندما نشترك في الروح، تكون لنا نعمة الكلمة،

وفي الكلمة تكون لنا محبة الآب،

وكما أن نعمة الثالوث واحدة، كذلك فالثالوث غير منقسم"[٣].

وعلينا أن نلاحظ عبارة القديس أثناسيوس عن الإيمان بالثالوث:

"هذا هو إيمان الكنيسة الجامعة؛ لأن الرب أسسها وأصلها في الثالوث"[٤].

ثانياً: بشارة الملاك لوالدة الإله

وهنا نترك الشرح للقديس أثناسيوس:

"حينما أُرسل الملاك جبرائيل ليعلن حلول الكلمة عليها قال: "الروح القدس يحل عليك" (لو ١: ٣٥)، عالماً أن الروح كان في الكلمة، وأضاف (الملاك) مباشرةً "وقوة العلي تظلِّلُكِ" (لو ١: ٣٥)؛ لأن المسيح هو "قوة الله وحكمة الله" (١ كور ١: ١٤).وماذا يعني هذا؟

---

(١) المرجع السابق ١: ٣١، ص ٨٦ – ٨٧.
(٢) المرجع السابق ١: ٣٣، ص ٩٢.
(٣) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.
(٤) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦ – ١١٧.

"وإذا كان الروح في الكلمة، فمن الواضح أيضاً أن الروح كان في الله أيضاً بالكلمة"[١].

وكأن القديس أثناسيوس كان يرى بروح النبوة الهجوم على الروح القدس بواسطة بعض الإكليروس، فكتب يقول:

"وبالمثل، عندما يصير الروح فينا،

عندئذٍ يأتي الابن والآب ويصنعون منزلاً فينا؛

لأن الثالوث غير منقسم؛ لأن إلوهته واحدة،

ويوجد إله واحد "على الكل وبالكل وفي الكل" (أف ٤: ٦)"[٢].

ثالثاً: سر المعمودية

يؤكد القديس أثناسيوس الإلوهة الواحدة للثالوث؛ لأن هذا هو أساس انضمام المسيحي إلى الكنيسة جسد المسيح:

"ألوهة واحدة في الثالوث (أي) في الآب، وفي الابن، وفي الروح القدس نفسه، وفي الثالوث نفسه معمودية واحدة وإيمان واحد"[٣].

هذا الإيمان بالثالوث الواحد هو رجاء كل من ينال سر المعمودية. ولذلك يسأل أثناسيوس السؤال الذي لا بُد أن يسمعه ذلك الجيل الذي سمع الحرب على الروح القدس:

---

(١) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.
(٢) المرجع السابق ٣: ٦، ص ١١٦.
(٣) المرجع السابق ٤: ٣ ص ١٢٢ – ١٢٣.

"أيُّ روحٍ آخر أخذه هؤلاء غير الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويُولدون ثانيةً بغسل الميلاد الثاني؟"[١].

لأننا "نتجدد بروح الله"[٢].

لأن الروح القدس "هو الذي فيه بواسطة الكلمة يكمل الآب كل الأشياء ويجددها"[٣].

ويجب أن نضيف هنا القاعدة الإيمانية الخاصة بعمل الثالوث في التقديس؛ لأنها تمس قدس أقداس الحياة الكنسية، وهي الأسرار لا سيما الإفخارستيا، إذ يقول معلمنا الكبير إن التعليم بدون الوقوع في خطر الابتعاد عن الأرثوذكسية، وإن التفكير السليم القانوني الخاص بالإيمان هو:

"نؤمن بقداسة واحدة نابعة من الآب بالابن في الروح القدس"[٤].

هذه القداسة تصل إلينا من مصدر واحد هو الثالوث، وهي آتية ومُعلَنة في الابن، وتُعطى بالروح القدس، ولذلك يؤكد القديس أثناسيوس بعد ذلك مباشرةً:

"لأنه كما أن الابن هو الابن الوحيد، هكذا أيضاً الروح الذي يُعطى ويُرسَل بالابن"[٥].

ووحدة جوهر الثالوث *ousia* هي مصدر القوة الفاعلة *dynamis* أو القدرة الفاعلة *energia* لأن عدم انقسام جوهر الثالوث، ووحدة عمل الثالوث الواحد هو الذي يجعل القوة الفاعلة أو القدرة الفاعلة هي عملٌ واحد التي تحيي الكل وتقدس

---

(١) المرجع السابق ١: ٤ ص ٣٣.
(٢) المرجع السابق ١: ٩ ص ٤٤.
(٣) المرجع السابق ١: ٩ ص ٤٤.
(٤) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٦.
(٥) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٦ – ٦٧.

الكل، ولذلك يؤكد نفس التعليم الرسولي في الفقرة ٣١ كالآتي:

"فعل الثالوث هو واحد ... لأنه لا يوجد شيء لم يُخلق ويُعطى القدرة على البقاء بالقدرة الفاعلة إلاَّ بالكلمة وفي الروح، وهكذا يرتل في المزامير: "بكلمة الرب صنعت السموات وبروح فيه كل جنودها" (مز ٣٢: ٦)"[١].

وسوف يدرك القارئ أن الابن الوحيد لم يرسل مواهب لكي يشتت وحدة الكنيسة، بل أرسل الروح القدس. وكلمات القديس أثناسيوس قاطعة مثل سيف التعليم الرسولي:

"الابن يرسل الروح، فهو يقول: "إن ذهبت أُرسل المعزِّي" (يو ١٦: ٧). والابن يمجد الآب قائلاً: "أيها الآب أنا مجَّدتك" (يو ١٧: ٤)، بينما الروح يمجِّد الابن؛ لأنه يقول: "ذلك يمجدني" (يو ١٦: ١٤)"[٢].

وحتماً إن كان الروح القدس يمجِّد الابن، فهذا ليس مجداً بشرياً —حسب ادعاء الأنبا شنودة الثالث في كتابه عن تأليه الإنسان— بل هو مجد الثالوث الواحد غير المنقسم. ثم يختم القديس أثناسيوس هذه الفقرة بقوله:

"فإن الروح يأخذ من الابن لأنه يقول: "لأنه يأخذ مما لي ويعطيكم" (يو ١٦: ١٤ حسب الأصل اليوناني)"[٣].

رابعاً: معمودية الرب يسوع في نهر الأردن[٤]

لم يأخذ الرب يسوع موهبة أو مواهب الروح القدس؛ لأن التعليم الرسولي

---

(١) المرجع السابق ١: ٣١ ص ٨٦ – ٨٧.
(٢) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٧.
(٣) المرجع السابق ١: ٢٠ ص ٦٧.
(٤) راجع دراستنا: لماذا اعتمد يسوع؟ منشورة على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية.

واضح، فقد "مُسِحَ" يسوع، وصار بالمسحة "المسيح"، مسحه الروح القدس، وكنا نحن – كما يقول القديس أثناسيوس– الذين اغتسلنا فيه ومُسِحنا فيه، بل كنَّا نحن الذين في المسيح تقدَّسنا فيه:

"لأنه كإنسانٍ يقال عنه إنه يُمسح بالروح القدس حتى يبني أو "يؤسس" فينا نحن البشر سُكنى الروح، ويجعل هذه السُكنى كعلاقة مألوفة"[١].

وبكلمات قاطعة يقول أثناسيوس عن الرب نفسه:

"أنا نفسي أُعطي ذاتي الروح، أنا الذي صِرتُ إنساناً أتقدَّس فيه لكي يتقدَّس الجميع فيَّ"[٢].

ثم

"إن نزول الروح عليه في الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن بسبب اتخاذه (لبسه) جسدنا ... من أجل تقديسنا من جديد"[٣].

ثم

"لكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنَّا: "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم (١كور ٣: ١٦). فحينما اغتسل الرب في الأردن كإنسان، كنَّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته"[٤].

ثم

---

(١) ضد الأريوسيين ١: ٤٦، سلسلة نصوص آبائية رقم ٦٤ – مركز الدراسات الآبائية – الطبعة الثالثة ص ١١٥.
(٢) المرجع السابق ١: ٤٦ ص ١١٥.
(٣) المرجع السابق ١: ٤٧ ص ١١٥.
(٤) المرجع السابق ١: ٤٧ ص ١١٥ – ١١٦.

"وحينما اقتبل الروح، كنَّا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته ... إذن فمن ذلك (أي بمعمودية الرب ومسحته) بدأنا نحن ننال المسحة والختم، كما يقول يوحنا: "أنتم لكم مسحة من القدوس" (١يو ٢: ٢٠)، والرسول يقول: "أنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أف ١: ١٣)"[١].

وهنا نشير إلى أن المسحة، وبشكل خاص، الختم، هو الاسم الطقسي القديم جداً لمسحة الميرون، وذلك كما شرحنا في دراستنا عن المعمودية في القرون الخمسة الأولى[٢].

(١) المرجع السابق ١: ٤٧ ص ١١٦.
(٢) يمكن مراجعة هذه الدراسة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

الفصل الرابع

الرب يسوع المسيح قَبِلَ الروح القدس لأجلنا

لا شك أن معمودية الرب يسوع هي عيد "الظهور الإلهي" للثالوث، ولكن هذا "الظهور"، ليس مجرد "استعراض" للثالوث؛ لأن ركناً من أركان هذا الظهور ليس مجرد نزول الروح القدس، بل "استقرار" الروح القدس على المسيح حسب عبارة الإنجيل: "وشهد يوحنا قائلاً إني قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء واستقر عليه ... ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه" (يو ١: ٣٢ – ٣٣). واستقرار الروح القدس على يسوع – حسب شرح القديس أثناسيوس– مؤسَّسٌ على حقيقية ثبات اللوغوس المتجسد وعدم تغيُّره. ويقول أثناسيوس:

> "لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيرة، فالبعض تعدوا الوصية، والبعض الآخر تمردوا ... لذلك كان ضرورياً أن يأتي واحدٌ غير متغيِّر لكي يحصل البشر على عدم تغيُّر بر اللوغوس كصورة ومثال لما ستكون عليه ثبات الفضيلة ... لأنه بما أن الإنسان الأول آدم (١كور ١٥: ٤٥)، تعرَّض للتغيير، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم (رو ٥: ١٢)، لذلك السبب عينه جاء آدم الثاني غير المتغيِّر ... أما الرب فلكونه غير متغير وثابت، تصير الحية عاجزة في حيلها ضد الجميع؛ لأنه عندما سقط آدم في العصيان "اجتازت الخطية إلى جميع الناس" (رو ٥: ١٢)، ولكن حينما صار الرب إنساناً، حطَّم الحية، ونقل قوته العظيمة إلى جميع الناس"[١].

---

(١) ضد الأريوسيين ١: ٥١ ص ١٢٢ – ١٢٣.

فقد آدم سُكنى الروح القدس بسبب السقوط، وهي أحد جوانب تعليم كنيسة الإسكندرية الذي دُوِّنَ في كل كتابات آباء الإسكندرية، وسوف نكتفي بالقديس أثناسيوس والقديس كيرلس الكبير:

أولاً: شهادة القديس أثناسيوس:

١- "إن البشر نالوا الروح حسب الشركة ... ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة، لذلك فإنهم عندما يتغيرون يُنزع منهم الروح ويتبرأ منهم"[١].

٢- "لقد صار يسوع ممسوحاً بالروح القدس؛ لكي يقدِّس الجميع بالروح"[٢].

٣- "فقد جاء لكي يعطي الروح القدس للجميع"[٣].

ثانياً: شهادة القديس كيرلس:

حسب شهادة إنجيل يوحنا، استقر الروح القدس على يسوع؛ لأن يسوع سوف يُعمَّد بالروح القدس (يو ١: ٣٢ – ٣٣). وقد خصص القديس كيرلس فصلاً كاملاً عن معمودية الرب يسوع في شرح إنجيل يوحنا[٤]، ووضع له العنوان التالي: "الروح القدس في الابن ليس بالشركة من الخارج، بل بالشركة حسب الجوهر وحسب الطبيعة".

وتعبير "الشركة من الخارج" تعبير هام يؤكد به الآباء أن شركتنا في الروح القدس هي شركة خارجية، وذلك للأسباب الآتية:

---

(١) ضد الأريوسيين ١: ٣٧ ص ١٠١.
(٢) ضد الأريوسيين ٢: ١٤ – طبعة ثالثة منقحة، ص ٣٤.
(٣) ضد الأريوسيين ٢: ١٨ ص ٤٠.
(٤) راجع الترجمة الحديثة إلى الإنجليزية التي نشرت في سلسلة "مكتبة الكنائس الشرقية" – الجزء الأول، تحقيق Peter Farrington

١– لاختلاف جوهر وطبيعة الإنسان عن طبيعة الروح القدس، وهذا يعني أنها ليست شركة حسب الجوهر الواحد؛ لأنه لا يوجد جوهر واحد يجمع الله والإنسان، بل يوجد جوهر واحد للبشر، وجوهر واحد للثالوث.

٢– الشركة من الخارج تعني أن سُكنى الروح القدس، أو الثالوث فينا هي سُكنى النعمة التي لا علاقة لها بطبيعة وجوهر الإنسان. هذا تمييز ضروري؛ لأن اختلاف الطبيعة هو سبب عمل النعمة ووجودها؛ لأن وحدة الطبيعة لا تحتاج إلى نعمة، بل ما هو في الطبيعة خاص بعمل وصفات هذه الطبيعة، ولذلك النعمة عطية ليس لها علاقة بطبيعة الإنسان[١].

لقد كتب القديس كيرلس هذا الفصل بالذات ضد أريوس ونسطور، ومن هذا الفصل نقدم هذه المقاطع:

المقطع الأول: وهو خاص بإخلاء الابن لذاته

"بما أن كلمة الله تأنس، فقد تقدَّس أيضاً باقتبال الروح القدس، لكن قبل تجسده كان في صورة ومساواة الآب (فليبي ٢: ٦) ... ما أعظم هذا العمل العجيب؛ لأن الابن المساوي لله الآب والذي له ذات طبيعة الآب، ومن أجل محبته لم يختلس هذه المساواة، بل نزل إلى حقارتنا وأخذ صورة العبد وأخلى ذاته لكي يتأنس ...".

المقطع الثاني: وهو خاص بخلق الإنسان على صورة الله

"يقول الكتاب الأول من كتب موسى الخمسة – وهو أكثر بني البشر الذين عرفوا الله – إن الله "خلق الإنسان على صورته" (تك ١: ٢٦)، ولكن

---

(١) لم يذكر أحدٌ قبل الأنبا شنودة أن الشركة في اللاهوت تعني أن يُصبح الإنسان إلهاً موجوداً في كل مكان ... إلخ ذلك من صفات اللاهوت، وتبعه في ذلك دون دراسة وتمحيص الأنبا بيشوي.

بواسطة الروح خُتِمَ Sealed بالصورة الإلهية. وقد علَّمنا موسى نفسه بقوله إن الله "نفخ في أنفه نسمة الحياة"، وعلى الفور بدأ الروح في وقت واحد أن يعطي معاً الحياة لكيان (آدم)، وبعمل إلهي يطبع صورته عليه (آدم)"[١].

وهنا يجب أن نسأل: ما هي علاقة خلق الإنسان الأول بمعمودية الرب؟ والجواب هو للقديس كيرلس:

"كان الإنسان الأول في الفردوس – كما هو مكتوب – حافظاً العطية وسامياً بالصورة الإلهية التي خُلق عليها بواسطة الروح القدس الذي حلَّ فيه. ولكن عندما فسد بغواية الشيطان وبدأ يحتقر خالقه ويتعدى الناموس الذي أُعطى إليه، وأحزن الله المحسن إليه، أخذ الله النعمةَ منه،، والذي خُلِقَ ليكون حياً سَمِعَ لأول مرة "تراب أنت وإلى التراب تعود". ومن هنا تغيَّر مثال الله الذي تلوث بالخطية، وبدأ المثال يضمحل، ولم يعُد الختم منيراً، بل اظلَّمَ بسبب التعدي. وعندما ازداد جنس البشر في التعدي ووصلوا إلى أقصى درجات الانحطاط، وسادت عليهم جميعاً الخطية[٢] وبصورة تامة، جُرِّدت نفس كل إنسان، وفقدت بذلك طبيعة كل إنسان النعمة القديمة، فارق الروح القدس الكل، وسقطت الطبيعة الإنسانية العاقلة إلى أحط درجات الغباء ...".

"ولكن صانع الكل، بعد زمان احتمال طويل حَزِنَ على العالم الفاسد، ولأنه صالح، وكراعٍ صالحٍ، أسرع لكي يجمع القطيع الضال الذي على الأرض، وقرر أن يبدل trans - element الطبيعة الإنسانية ويجددها ويردها إلى الصورة بالروح؛ لأنه لم تكن هناك وسيلة أخرى ممكنة لإعادة الختم الإلهي مرة ثانية ..."[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٥ – ١٣٦.

(٢) راجع تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس.

(٣) راجع الترجمة الحديثة لإنجيل يوحنا إلى الإنجليزية، التي نشرت في سلسلة "مكتبة الكنائس الشرقية" – الجزء الأول،

المقطع الثالث: كيف أُعيدت إلينا النعمة غير المغلوبة؟

"كيف يغرس فينا النعمة غير المغلوبة؟ أو كيف يتجذَّر (من الجذر) الروح في الإنسان؟ وبأي وسيلة أُعيد تحديد الطبيعة إلى حالتها الأولى؟ هذه أسئلة تستحق الإجابة"

أ- الإنسان الأول ترابي؛ لأنه خُلِقَ من تراب، وأُعطي له القدرة على أن يختار الخير أو الشر، وبالاختيار يصبح سيد أيهما (الخير أو الشر).

ب- لكنه أُسِرَ بمكرٍ مرير، ومال إلى العصيان، وسقط في الأرض، الأم التي نشأ منها وساد عليه الآن الفساد والموت.

جـ- وورَّث إلى الجنس البشري كله حكم الموت.

د- ونما الفساد، وانتشر فينا، وانحدر الإدراك إلى ما هو أسوأ، وملك الموت، وبشكل تام صارت الطبيعة الإنسانية عارية من الروح القدس الذي سكن فيه (عند خلقه).

هـ- "لم يحفظ الإنسان الأول النعمة التي أعطاها الله له"[1].

المقطع الرابع: تدبير الخلاص

أ- "دبَّر الله الآب أن يرسل إلينا من السماء آدم الثاني، فأرسل إلينا ابنه الوحيد في شكلنا، وهو الذي لا يعرف التغيُّر أو التحول، بل لا يعرف الخطية مطلقاً".
ب- "وكما بسبب معصية الأول، صار (آدم الثاني) خاضعاً للحكم الإلهي لكي بطاعة الثاني ننجو من اللعنة وتباد شرورها".

ص ١٣٦.
(١) المرجع السابق ص ١٣٦ – ١٣٧.

جـ- "ولكن عندما جاء كلمة الله وتأنَّس، اقتبل الروح من الآب كواحدٍ منَّا نحن البشر – ولم يقتبل الروح لذاته كمن هو محتاج لأنه مُعطي الروح – ولكن بما أنه هو الذي لا يعرف خطية، قبله (أي الروح) كإنسان يحفظ الروح لطبيعتنا ويعيد غرس in root من جديد فينا النعمة التي فارقتنا. لذلك السبب – كما أعتقد – قال المعمدان القديس متنبئاً "رأيت الروح نازلاً من السماء واستقر عليه"؛ لأن الروح هرب منَّا بسبب الخطية، ولكن لما جاء الذي لا يعرف خطيةً، وصار بشراً وكواحدٍ مثلنا، جاء الروح لكي يتعوَّد accustomed أن يسكن فينا نحن لأنه لا توجد مناسبة أو سبب لأجله يفارقه (أي يسوع) الروح"[١].

المقطع الخامس: نحن نأخذ الروح القدس من المسيح

"هكذا كانت أحدى نتائج السقوط، مفارقة أو هروب الروح القدس من الطبيعة الإنسانية، وهو السبب الكامن وراء صراخ داوود "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥١)، ولكن في التدبير جاء الروح ليمسح يسوع ويعلنه مسيحاً بشكل خاص، أي المخلِّص الذي سوف يعيد الروح القدس للإنسانية"[٢].

وفي هذا المقطع يضع القديس كيرلس الأساس اللاهوتي لشركتنا في الروح القدس هكذا:

أ- "لذلك في ذاته قَبِلَ الروح القدس لأجلنا لكي يجدد لطبيعتنا الصلاح

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧.

(٢) المرجع السابق. هنا يجب أن نقول لكل من ينادي بعدم سُكنى الروح القدس فينا – تلك المحاولة الشيطانية التي تريد أن تفصل الروح القدس الأقنوم الثالث و"الرب المحيي" عن المواهب – إن خطأ هذا الفصل – كما سبق وأشرنا أكثر من مرة – يجعل الطبيعة الإنسانية عارية من اللاهوت، كما قال معلمنا أثناسيوس للأريوسيين الذين أنكروا إلوهية الروح القدس.

القديم (الذي فقدناه)؛ لأنه قيل: "الذي لأجلنا افتقر وهو الغني" (٢كور ٨: ٩). فهو غني؛ لأنه –كإله – لا يعوزه شيء صالح. ولما تأنَّس كان يفتقر إلى كل شيء ... وكما أنه هو الحياة بالطبيعة، ومات بالجسد لأجلنا لكي يدوس الموت لأجلنا ويقيم الطبيعة كلها معه – لأن كل البشر كانوا فيه عندما صار إنساناً – هكذا أيضاً يقبل الروح لأجلنا لكي يقدس طبيعتنا كلها. لقد جاء لا لكي ينال هو ذاته فائدة، بل لكي يصبح لنا جميعاً "الباب"، و"البدء"، و"الطريق" إلى كل الخيرات السماوية".

ب- "وإذا لم يكن له مسرة (أو إرادة) لأن يقبل كإنسان أو أن يتألم كواحدٍ من البشر، فكيف يمكن أن يقال إنه "أخلى ذاته"؟ أو كيف يمكن لـ "صورة العبد" إذا لم تكن لهذا العبد احتياجات؟"[١].

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ – ١٣٨.

الفصل الخامس

عودة إلى نسمة الحياة،

أو نفخة الروح القدس

يدَّعي المطران في ص ١٣ من البحث المذكور: "إن السيد المسيح لم ينفخ ذات جوهر أقنوم الروح القدس في وجه تلاميذه، ولكنه نفخ سلطانه ومواهبه المختصة بالحل والربط، وغفران الخطية (مثل نفخة رئيس الكهنة في سيامة الكاهن)". ولذلك حينما يُذكر أقنوم الروح القدس في ذاته في الكتاب المقدس، فإنه يذكر مع أداة التعريف (الروح القدس) ... أمَّا حينما يذكر الروح القدس من جهة مواهبه وسلطانه وعطاياه، فيذكر بدون أداة التعريف (روح قدس) ... لذلك فإن الترجمة الصحيحة لقول السيد لتلاميذه عندما نفخ في وجوههم هي مثلما ورد في يو ٢٠: ٢٢ (أقبلوا روحاً قدساً)، والمقصود بذلك هو موهبة الكهنوت التي هي من مواهب الروح القدس والكنيسة.

وإذا كنا في الصفحات السابقة قد انتهينا من الرد على ادعائه الخاص بأداة التعريف أل وأهمية وجودها أو عدم وجودها في الدلالة على نفس أقنوم الروح القدس، وأنه لا يوجد غير الروح القدس الرب المحيي، وهو المقصود من أيٍّ من التعبيرين، بقى لنا هنا التأكيد على أننا لا نأخذ مواهب أو عطايا فقط بحلول الروح القدس، بل نأخذ الروح القدس نفسه. وليس ما نقوله بجديد، بل هو تسليم آباء الإسكندرية منذ القرون الأولى، ولو كان المطران قد أجهد نفسه في متابعة ما يصدر حتى –باللغة العربية[1]– في مصر؛

(١) قمنا بتعريب وشرح الإصحاحات ١٨ – ٢١ من إنجيل يوحنا عن الإنجليزية، وتم نشرها بعنوان آلام المسيح وقيامته في إنجيل القديس يوحنا، للقديس كيرلس السكندري، إبريل ١٩٧٧، ص ١١٠ وما بعدها. يمكن أيضاً مراجعة

لأمكنه بأقل جهد أن يتحقق من معنى نفخة رب المجد لتلاميذه بعد القيامة، وما إذا كان المقصود منها إعطاء موهبة خاصة بالكهنوت أم هي عطية الروح القدس نفسه لإعادة تجديد الخليقة، وأن يكفي نفسه مؤنة تحمل مسئولية رأي خاص لا سند علمي أو إيماني له أمام الله وأمام الكنيسة التي أقامه فيها الله أسقفاً.

وكان يمكننا أن نكتفي بشهادة القديس كيرلس الكبير في شرحه لنص يوحنا ٢٠: ٢٢، إلَّا أننا فضَّلنا أن نضع أمام القارئ تسليم آباء الإسكندرية، حتى لا يعتقد أحد بأن شرح القديس كيرلس، فريد لا مثيل له، فقد ربط آباء الإسكندرية بين تكوين ٢: ٧، ويوحنا ٢٠: ٢٢.

المسيح يُعطي نسمة الحياة بعد القيامة:

المدهش حقاً هو أن نص يوحنا ٢٠: ٢٢ يتكلم عن "الروح القدس"، وليس "روح قدس"، وذلك عند كل آباء الإسكندرية ابتداءً من العلَّامة أوريجينوس؛ لأن غياب أداة التعريف أل لم يكن له أي معنى لاهوتي عندهم.

العلاَّمة أوريجينوس:

> "وبعد قيامة المخلص، وعندما مضت الأشياء القديمة، وصارت كل الأشياء جديدةٍ، يقول المخلِّص للرسل الذين تجددوا بالإيمان بالقيامة؛ أقبلوا الروح القدس" (المبادئ ١: ٣: ٧).

ديديموس الضرير:

> "ومرةً ثانيةً يعيد إلينا الرب –حسب إنجيل يوحنا– الروح القدس الذي فقدناه

شرح إنجيل يوحنا، المجلد الثاني، سلسلة نصوص الآباء ١٦٨، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠١٢، ص ٥٠٤ وما بعدها.

بالخطية الأولى، وينفخ على وجوه التلاميذ ويقول لهم: أقبلوا الروح القدس" (الثالوث ٢: ١٢).

القديس كيرلس السكندري:

"وبسبب المعصية سقط الإنسان تحت سلطان الموت، لكِّن مخلصنا مرةً ثانيةً، يُعطي الروح القدس مِن خلال علامةٍ ظاهرةٍ، أي نفخته عندما ينفخ على التلاميذ القديسين باكورة ثمار الطبيعة الجديدة ... لأن موسى كتب عن خلقتنا الأولى: إن الله نفخ في أنف آدم نسمة الحياة .. وكما خلق الإنسان ليكون صورة خالقه، هكذا نحن أيضاً بشركتنا في الروح، يتحول الإنسان إلى مثال خالقه" (تفسير إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢).

بعد أن شرح القديس كيرلس السكندري رد عطية الحياة الجديدة ونسمة الحياة التي فُقِدت، وردها الرب يسوع نفسه، فإنه لم ينس أن يذكر إقامة الرسل بواسطة الروح القدس لرعاية الكنيسة؛ لأن الرب قال: "اقبلوا الروح القدس، من غفرتم له خطاياه تغفر له ومن أمسكتموها عليه أُمسكت"، فيقول:

"وعندما أعطى المسيحُ الروحَ لهم قال من غفرتم له خطاياه غُفرت ... لكن الله الحي هو القادر والقوي على أن يعطي الخطاة غفران الخطايا، ومن يمكنه أن يغفر تعدي الخطاة ضد الشريعة الإلهية، إلَّا واضع الشريعة نفسه؟ ويمكن أن نرى معنى الكلمات –إذا أردتم– بالمقارنة بما يحدث في الحياة الإنسانية. لأن من يتعدى شريعة الملوك الأرضيين وأن يمحو ما حددته إرادة القضاء والأحكام إلَّا الذي له الهيبة والكرامة الملوكية؟ ... فأي معنى إذن أعطى المخلص لتلاميذه الكرامة الخاصة بطبيعة الله وحده؟ الكلمة الذي في الآب لا يمكنه أن يخط لأنه فعل ذلك فعلاً، وما يفعله إنما يفعله حسناً. فقد رأى أنه من الصواب أن الذين نالوا الروح الذي فيه هو الذي هو الله والرب أن يكون لهم القوة على أن يغفروا ويمسكوا الخطايا على من أرادوا لأن الروح

القدس الساكن فيهم هو الذي يغفر أو يمسك حسب إرادته، رغم أن العمل يتم بواسطة إنسانية" (مجلد ٢: ص ٦٨٠).

فهل يجوز لعاقل أن يقول إن غفران الخطايا، وهو عمل الله يتم بروح قدس؟

ويكمل القديس كيرلس الشرح قائلاً بعد ذلك مباشرةً:

"الذين نالوا روح الله يغفروا أو يمسكوا الخطايا بطريقتين –كما أعتقد– هم يدعون إلى المعمودية الذين تأهلوا للسر بعد تنقية حياتهم، وبعد أن التزموا بالإيمان. ويمنعون ويرفضون أولئك الذين لم يستحقوا النعمة الإلهية، أو بمعنى آخر هم يغفرون أو يمسكون الخطايا بعد إنذار الذين يخطئون من أولاد الكنيسة، ويمنحوا لهم الغفران عندما يتوبون" (المرجع السابق).

أرجو أن يعود الأنبا بيشوي عن خطأه؛ لأنه جحد نعمة الكهنوت العامل فيها الروح القدس نفسه حسب صلاة التحليل في الكنيسة أم الشهداء.

البابا يوحنا الثالث:

"عندما أخطأ آدم، فارقه الروح القدس، وفارق كل إنسانٍ إلى اليوم الذي جاء فيه الرب، فأعاد الروح إلينا مرةً أُخرى بواسطة المعمودية المقدسة ... لأن المسيح بعد قيامته مِن الأموات، نفخ على وجوه تلاميذه وقال: أقبلوا الروح القدس الذي نفخته على وجه آدم وفقده بالخطية، ولكن الآن يقبله مِن جديد" (أسئلة ثيؤدور – المرجع السابق ص ١٢).

تعليم الإسكندرية كما يشرحه القديس كيرلس السكندري:

"كتب موسى عن خلقتنا الأولى. وذكر أن الله نفخ في أنف الإنسان نسمة الحياة. وكما حدث في البدء عندما كُوِّنَ الإنسان، هكذا أيضاً في التجديد.

وكما خُلِقَ حسب صورة خالقه، هكذا أيضاً الآن بالشركة في الروح القدس، يتجدد (يتحوَّل) إلى شبه خالقه؛ لأن الروح يطبع صورة المخلص على قلوب الذين يقبلونه. وهذا بكل يقينٍ، موضوعٌ لا يقبل الجدل؛ لأن بولس يقول صراحةً مُعلِّماً الذين بالضعف سقطوا في حفظ الشريعة قائلاً هذه الكلمات: "يا أولادي الذين أتمخض بهم مرةً ثانيةً حتى يتصور المسيح فيكم" (غلا ٤: ١٩). وهو يقول إن المسيح لن يتكَّون فيهم إلاَّ بالشركة في الروح القدس وبالحياة حسب شريعة الإنجيل. وهكذا كما في باكورة الخليقة التي وُلِدَت إلى مجد عدم الفساد وإلى صورة الله، يَغرسُ مِن جديدٍ روحه في تلاميذه. ومِن النافع لنا أن نفهم هذه الحقيقة، وهي أنه (المسيح) مِن فوقٍ يعطي لنا الروح القدس" (شرح إنجيل يوحنا ٢٠: ٢٢ نص Pusey مجلد ٢: ص ٦٧٦).

والمقارنة بين الخلق والتجديد هي التي تشرح الأساس اللاهوتي، وهو أن المعموديةَ هي خلقٌ جديدٌ مثل الخلق الأول، بل ويفوقه. وهي أحد أسباب إطلاق اسم "حميم أو اغتسال الميلاد الثاني"، بل كيف يمكن أن نفهم تعبير "تجديد الروح القدس" (تيطس ٣: ٥) بدون العودة إلى النعمة الأولى، أي عطية الروح القدس التي أُعطيت لآدم عندما خُلِقَ والتي فقدها بالسقوط، وأصبحت تحتاج إلى (تجديد)؟

الفصل السادس

شهادة إنجيل يوحنا،

وشرح القديس كيرلس الكبير

سوف نتتبع ما ورد في إنجيل يوحنا مع شرح القديس كيرلس الكبير حسب ترتيب الإنجيل نفسه.

يوحنا ١: ١٢ "أما كل الذين قبلوه، الذين يؤمنون باسمه، أعطاهم القوة (السلطان) ليصيروا أبناء الله".

شرح القديس كيرلس:

"بسلطانه يعطي الابن ما يملكه وحده بالطبيعة، ويمنحه منحةً عامةً جاعلاً هذه المنحة أيقونة لمحبته للبشر وللعالم. لقد حملنا أيقونة الإنسان الترابي ولن نستطيع أن نفلت من الفساد إلَّا إذا قبلنا دعوة التبني في كياننا لأنها المجد الفائق للإنسان السمائي (راجع ١كو ١٥: ٤٩)، فصرنا نشترك فيه (المسيح) بالروح، ونحن نُختم (بختم) مشابهته ونرتفع إلى صورة السمائي التي أخبرنا بها الكتاب المقدس والتي خُلقنا علينا. وعندما نستعيد جمال طبيعتنا الأولى، فإننا نُخلق بواسطة الطبيعة الإلهية ونصبح أسمى من كل الشرور التي أصابتنا بسبب التعدي، وهكذا نرتفع إلى كرامةٍ أعظم من طبيعتنا بسبب المسيح" (راجع ص ٦٠ من الترجمة الدولية المجلد الأول شرح انجيل يوحنا

Ancient Christian Texts سنة ٢٠١٣ وهي الطبعة الحديثة التي سوف نشير اليها دائماً).

الروح القدس إذن لا يختم *Seal* الطبيعة بالختم السمائي إن لم يكن هو الأقنوم الثالث العالم فينا، فهو ليس روح قدس، بل روح الآب.

ويكمل القديس كيرلس الشرح:

"ونحن لن نكون أبناء الله بلا تغيير مثله (الابن)، بل سنكون أبناء الله بسبب علاقتنا به وبنعمة التشبُّه به. هو الابن الحقيقي الكائن في الآب، أمَّا نحن، فقد نلنا التبني بسبب محبته للبشر، وننال نصيباً في النعمة حسب الكلمات: "أنا قلت أنكم آلهة وأنتم جميعاً أبناء العلي" (مزمور ٨٢: ٦ – ٨١: ٦ س). فالطبيعة المخلوقة المستعبَدة مدعُّوة إلى مجد أسمى من طبعها بإرادة وموافقة الآب. أمَّا الابن الله والرب، فهو لم يصبح إلهاً وابناً بإرادة الله الآب، أو لمجرد مسرة الآب، وإنما هو مُشرق من ذات جوهر الآب ويملك الجوهر الفائق الصلاح .." (ص ٦٠).

إذن، التحول من الطبيعة المخلوقة المستعبَدة لا يمكن أن يتم بواسطة عمل آخر غير عمل الله نفسه، ولذلك عندما يشرح القديس كيرلس (يوحنا ١: ١٣) عن الولادة ليس من الطبيعة المخلوقة (الدم واللحم)، أو العلاقة الزوجية والإرادة الإنسانية، بل من الله يقول القديس كيرلس:

"أما الذين رُفعوا إلى التبني الإلهي بالإيمان بالمسيح وعُمِّدوا، فهولاء لم يُعمَّدوا بطبيعة مخلوقة، وإنما بواسطة الثالوث القدوس نفسه، وبواسطة الكلمة الذي هو الوسيط. فقد جمع ما هو إنساني إلى ذاته بواسطة الجسد الذي اتحد به، ولأنه متحد بالطبيعة بالآب لأنه الله بالطبيعة، فهو بهذه الوسيلة يرفع العبيد إلى التبني بالشركة في الابن الحقيقي؛ لأنهم دُعُوا إلى الكرامة التي للابن

بالطبيعة، ولذلك نحن الذين قبلنا الميلاد الجديد بواسطة الروح بالإيمان ندعى مولودين من الله، وحقاً نحن كذلك" (ص ٦١).

ويكمل القديس كيرلس الكبير شرحه مدافعاً عن الروح القدس:

"ولكن حيث أن البعض في رعونةٍ يتجاسرون أن يكذبوا عن الروح القدس كما كذبوا من قبل عن الابن الوحيد، ويقولون إنه مخلوق، وأنه غريب تماماً عن جوهر الله الآب، وليس واحداً معه في الجوهر .. يا أصدقائي، إذا كان روح الله الذاتي الكائن معه في ذات الألوهة، ليس الله بالطبيعة وليس من الله، بل هو آخر غير الله، ومن طبيعة مخلوقة، فكيف نحن الذين "ولدنا من الله" نُدعى أبناء الله؟ إما أنكم تقولون إن الإنجيلي يوحنا يكذب، أو أنه يقول الحقيقة وهي فعلاً الحقيقة وليست كذبة، عندئذ يظهر أن الروح هو الله، وأنه من الله بالطبيعة. وعندما نُحسَب نحن مستحقين لأن نشترك فيه بالإيمان بالمسيح، نصبح شركاء في الطبيعة الإلهية (٢ بطرس ١: ٤) ومولودين من الله، ولذلك نحن نُدعى آلهة، ليس لأننا نخطف المجد الذي يفوق طبعنا، ولكن لأن الله يسكن ويثبت فينا حسب كلمات النبي: "سأسكن فيهم وأسير معهم" (لاويين ٢٦: ١٢ – ٢كو ٦: ١٦) (ص ٦٢).

إذن، التبني لن يكون حقيقياً بدون سكنى وعمل الروح القدس، أي الله نفسه.

يوحنا ١: ١٤ "الكلمة صار جسداً وسكن فينا":

يشرح القديس كيرلس سكنى الكلمة فينا على هذا النحو:

"يعلن لنا الإنجيلي سراً آخر فائق، عندما يؤكد –لفائدتنا– أن الكلمة "سكن فينا". نحن جميعاً في المسيح، وخصائص طبعنا الإنساني قد أخذها في أقنومه، ولهذا السبب يدعى آدم الأخير. هو يعطي لنا كل غنى ثباته ومجده لطبعنا

الذي يشترك فيه الكل، مثلما أعطى آدم الأول الفساد والعار. لذلك سكن الكلمة فينا في كل البشر بواسطة إنسان واحد. وعندما "تعيَّن ابن الله بقوة حسب روح القداسة" (رو ١: ٤)، صار لكل البشر الكرامة التي قيلت عن واحد مثلنا هذه الكلمات: "أنا قلت أنكم آلهة .." (مزمور ٨٢: ٦)، ولكن نسمو بالتشبه به، أي بمجده وكرامته الإلهية، ونصبح آلهة وأبناء الله بالإيمان، فهو الذي بالطبيعة ابن الله "سكن فينا"، ولذلك، بروحه نصرخ "أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥) (المرجع السابق ص ٦٤).

معمودية الرب (يوحنا ١: ٣٢–٣٣):

لست أدري كيف يشرح المدافعون عن هذا التعليم الغريب والبعيد عن التدبير، معمودية الرب يسوع. فقد مُسح بالروح القدس لأجلنا، ولأجلنا قبل الروح القدس لكي يعطي الروح القدس ويجعلنا شركاء له في مسحته" (١يو ٢: ٢٠، ٢٧).

ماذا يقول القديس كيرلس عن معمودية الرب يسوع؟

"ربما ضحك أحد الهراطقة الذين يحبون النقد ويقفز ضاحكاً قائلاً: ماذا تقولون يا سادة عن هذا؟ وما هو البرهان الذي سوف تنسجونه لكي تتجنبوا ما كُتب؟

انظروا إنه (الإنجيل) يقول إن الروح ينزل على الابن. ها أنتم ترون لقد مُسح بواسطة الله الآب وبكل وضوح أخذ ما لم يكن لديه. بل أن المزمور يشهد على هذا عندما يخاطبه (يسوع) بهذه الكلمات: "لذلك مسحك الله إلهك بزيت البهجة أكثر من رفقائك" (مزمور ٤٥: ٧ – ٤٤: ٨ س). فكيف يكون الابن من نفس جوهر الآب الكامل أليس لأنه هو غير كامل؟ ولماذا مُسح إذا كان كاملاً؟ والجواب على هذا يجب أن نقوله لمن يقلب معاني تعاليم الكنيسة المقدسة ويفسد الحق الذي كُتب لكن حيث أن الآب إله

والابن إله بالطبيعة، فهو (أي الابن) لا يختلف بالمرة عن الآب ... يوحنا رأى الروح نازلاً من السماء على الابن. هذا يعني أنه تقدس من الخارج لأنه قَبِلَ ما لا يملكه. أليس هذا هو الوقت الذي يجب أن يُقال فيه إنه (الابن) مخلوقٌ وإنه نال كرامة قليلة (أكثر من سائر المخلوقات) .." (المرجع السابق ٦٨ – ٧٩).

كيف يشرح القديس كيرلس التدبير؟

"تشهد الأسفار المقدسة أن الإنسان خُلِقَ على صورة ومثال الله الذي هو فوق كل (المخلوقات). وأول مَن يقدم شهادةً هو أول كتاب لموسى الذي عرفه الله، الذي هو فوق الكل لأنه يقول "وجبل الله الإنسان على صورته" (تك ١: ٢٧)، وهو الذي علَّمنا أنه بواسطة الروح القدس ختم الانسان بختم الصورة الإلهية؛ لأنه يقول "ونفخ في وجهه نسمة الحياة" (تك ٢ ٧)، فوضع الروحُ الحياةَ في الذي خُلق وطبع خاتمه عليه (الإنسان) بشكل يناسب الله. هكذا الله الصانع الفائق بعد أن خلق الطبيعة العاقلة من التراب وأعطاه وصية الخلاص عندما كان في الفردوس –كما هو مكتوب– فإذا حفظ الإنسان العطية وصار بهياً بالصورة الالهية لخالقه بواسطة الروح القدس الذي حلَّ فيه، ولكن عندما ضلَّ بعيداً بغواية العدو الشيطان، واحتقر خالقه وداس الشريعة التي أُعطيت له والتي ميَّزته (عن سائر الخلائق) تلك التي أعطاها صانع الخيرات. استعاد صانع الخيرات النعمة التي أُعطيت له (لآدم) والذي خُلق، سمع لأول مرة منذ أن جاء إلى الحياة: "ترابٌأنت وإلى التراب تعود" (تك ٣: ١٩)، فصار مثال الله يحمل ختماً زائفاً بالخطية التي هجمت عليه بشدة، ولم تعد معالم الصورة ظاهرة (مميزة)، بل صارت غامضة فيه لأنها اظلمَّت بالعصيان ..." (المرجع السابق ص ٨١).

نتائج السقوط:

بدأ القديس كيرلس بالخلق وبنفخة الروح القدس الذي حلَّ أو سكن في آدم؛ لأنه بالروح القدس يصبح الإنسان صورة الله ومثاله. ثم أكد فقدان العطية بعد ذلك بقوله:

"ولكن عندما وصل الجنس البشري إلى كثرة الشرور العظيمة وسادت الخطية على الكل وزيَّفت كل نفس وتعرَّت الطبيعة من النعمة الأصلية؛ فارق الروح تماماً وسقطت الخليقة العاقلة في جنونٍ مطبِق؛ لأنها لم تتعرف حتى على خالقها (المرجع السابق ص ٨١).

تدبير الخلاص:

يؤكد القديس كيرلس إن الله رتَّب زرع النعمة فينا ويقول:

"فكيف تجذَّر *rooted* الروح مرةً أخرى في الإنسانية؟ وكيف جُدِّدت طبيعتنا وأُعيدت إلى حالتها الأولى (الأصلية)؟ (المرجع السابق ص ٨٢).

وبعد أن يؤكد أن الروح فارق الإنسانية، يقول عن الرب يسوع:

"هو يقبل الروح في كيانه لأجلنا، ويجدد طبيعتنا إلى الصلاح الأول، ولذلك قيل إنه "افتقر لأجلنا" (٢كو ٨: ٩) رغم أنه الإله الغني الذي لا يحتاج إلى شيء .. ورغم أنه الحياة بالطبيعة إلَّا أنه مات حسب الجسد لأجلنا؛ لكي يغلب الموت، ولكي يقيم طبعنا كله معه – لأننا جميعاً فيه لأنه تأنس، وبنفس خطة التدبير هو يقبل الروح لأجلنا لكي يقدِّس الطبيعة كلها (الإنسانية كلها). هو لم يأت إلينا لأنه احتاج إلى معونةٍ، ولكن لأجلنا صار "الباب"، بل البداية والطريق إلى البركات السماوية .." (المرجع السابق ص ٨٢).

"وحسب القصد الأزلي الذي أُكمِل في يسوع المسيح ربنا" (فيلبي ٣: ١٠-١١) فإن سر التجسد العظيم هو حقاً سرٌّ حكيم يليق بالله .. ولست أظن أننا سوف نسقط في هذا الجنون بالاعتقاد بأن الروح في الابن بواسطة شركة الابن، ولكن الروح فيه حسب الجوهر، وكما هو في الآب هو كذلك في الابن حسب الجوهر .." (المرجع السابق ص ٨٣).

شرح يوحنا ٣: ٣-٤ مَن لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السموات:

يقول القديس كيرلس:

"يُسمي ربنا يسوع المسيح الميلاد الجديد بالروح باسم "من فوق" مُعلِناً أن الروح من جوهر يعلو على الكل، وأننا بواسطته نصبح شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤). ومعنى هذا الاسم هو ما يعلنه يسوع أننا ننال المنبثق جوهرياً من الطبيعة الإلهية الذي به نتحول بواسطته ونعود إلى أصل جمال الطبيعة؛ لأننا بهذا نولد إلى الحياة الجديدة جداً (رو ٦: ٤) .. وحيث أن البشر من طبيعة مركبة *Composite* لا من طبيعة بسيطة، بل مركبة من شيئين، أعني الجسد بحواسه والنفس العاقلة، احتاج البشر إلى شفاءٍ مُركَّبٍ للميلاد الجديد يماثل الطبيعة المركبة التي أشرنا إليها. وهكذا تتقدس النفس الإنسانية بالروح، والجسد يتقدس بالماء الذي بدوره يتقدس. وكما أن الماء الذي يُسكب في غلاية على النار يأخذ حرارة وقوة النار بالاتصال بالنار، هكذا أيضاً عمل الروح حتى أن الماء المحسوس يتحول إلى قوة إلهية فائقة ويقدِّس كل مَن ينزل فيه" (المرجع السابق ص ٩٨).

هل هذا عملُ روحٍ قدس، أم عمل الله الروح القدس؟ الجواب هو في مثال الماء الذي ينال القوة الالهية الفائقة لكي يقدس الجسد.

تعليق القديس كيرلس على سوء استعمال كلمات موهبة ونعمة وعطية

سوء استخدام كلمات نعمة وموهبة أو عطية يعلق عليه القديس كيرلس نفسه في شرح (يوحنا ٤: ١٤-١٥) في حديث الرب مع السامرية:

"علينا أن نفهم أن المخلص هنا يسمي عطية الروح القدس "الماء"؛ لأن من يشتركون فيه ينالون فيض معرفة إلهية تنبع فيهم، فلا يحتاجون إلى إرشاد من آخرين، بل بالعكس ينالون الكفاية والقدرة على أن يعلِّموا بكفاية كل العطاش للكلمة السمائية الإلهية. هؤلاء كانوا القديسين الأنبياء والرسل عندما كانوا لا يزالوا أحياء على الأرض والذين ورثوا خدمتهم والذين قيل عنهم "خذوا مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص" (أش ١٢: ٣ س).

وقبل ذلك يقول القديس كيرلس في شرح (يوحنا ٤: ١١):

"إن الرب يسوع يسمي العطية الواهبة الحياة للروح "المياه الحية" لأنه بدون هذه العطية وحدها، تجف جذور الطبيعة الإنسانية وتصبح عقيمة من كل فضيلة بسبب الأعمال الشريرة، ولكن بهذه العطية تجري سريعاً إلى جمالها القديم وتشرب من العطية الواهبة الحياة وتزهر بكل عمل صالح ... لأن نفس الصديق تصبح مثل "شجرة مثمرة" كما يقول واحد من القديسين (أرميا ٣٨: ١٢ س) وتنمو مثل الحشائش بين شقوق الصخور ومثل شجرة الصفصاف عند مجاري المياه (أش ٤٤: ٤ س).

ولاحظ العلاقة الكيانية الوثيقة بين الروح القدس والمن أو خبز الحياة. يؤكد هذا القديس كيرلس في شرح (يوحنا ٦: ٣٥ ... أنا هو خبز الحياة)، إذ يقول:

"الخبز النازل من فوق من السماء، أي المسيح يغذينا بالحياة الأبدية، ويمدنا

بالروح القدس بالشركة في جسده الخاص به (المسيح) واضعاً فينا الشركة مع الله، مبيداً الموت الذي جاء مع اللعنة القديمة".

أقول في حزنٍ شديد، لقد حاول أحدهم العبث في إحدى صلوات القداس الباسيلي، وحذف الصلاة التي تبدأ: "كمُلت نِعَم إحسان ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح .. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر لكي إذ طهرتنا كلنا **تؤلِّفنا بك** من جهة تناولنا أسرارك الإلهية، لكي نكون مملوئين من روحك القدوس وثابتين في الايمان"، وذلك بدعوى أنها غير موجودة في بعض النسخ، ولكنني قلت له إن استدعاء الروح القدس لتحول الخبز والخمر يعني أيضاً شركة في الروح القدس، وأن النص له ما يقابله عند القديس كيرلس في مواضع كثيرة وعند ذهبي الفم، ولأننا بالتناول كما تقول صلاة قبل التناول: "يا رئيس الحياة ملك الدهور كلمة الله الآب .. ليصيِّرنا تناولنا من أسرارك المقدسة واحداً معك إلى الانقضاء" (يوحنا ١٧: ١١ و٢٠ – ٢٤)"، فكيف نكون واحداً مع المسيح الرب وغرباء عن الروح القدس، أو نكون مع روح قدس كما يدَّعي المطران. (راجع أيضاً صلاة البركة التي تقال بعد التناول ... أيها الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس بارك شعبنا المحب للمسيح .. ارسل علينا نعمة روحك القدوس"؛ لأن الوسيط يسوع المسيح ربنا يمسحنا دائماً بالروح القدس.

الروح القدس يعلن الرب يسوع، وليس هو روح قدس:

يشرح القديس كيرلس كلمات (يوحنا ٦: ٤٥)، وبالذات عبارة الرب يسوع "كل مَن سمع وتعلم من أبي يأتي إليَّ"، ولاحظ في النص التالي وحدة عمل الثالوث الذي لا ينفصل عمل أي أقنوم عن أقنوم آخر؛ لأن الثالوث واحد في الجوهر أو الحياة، ولذلك كل فعل وعمل هو من الآب بالابن بالروح القدس، العبارة التي كررها القديس اثناسيوس في رسائله إلى سرابيون عن الروح القدس[١].

(١) راجع على سبيل المثال، الرسالة الأولى: ٢٨، و٣٠.

يقول القديس كيرلس:

"ما يجب أن نعلم أنه على الرغم من أنه قال إن الآب هو الذي يعلِّم بعض البشر سر المسيح، فهو لا يفعل ذلك منفرداً، بل يتمم كل شيء بالابن؛ لأنه هو حكمته .. لأن الابن هو حكمة الآب، ولذلك يتمم الاستعلان بالحكمة المولود منه .. وبالإضافة إلى ذلك، لكي يكون الشرح واضحاً وحقيقياً وليس عكس ذلك، لا يخطئ أحدٌ بالمرة إذا قال إن كل الأفعال والإرادة التي لله الآب الخاصة بعمله في أي إنسان هي خاصة بالثالوث القدوس كله، وهذه الأفعال والإرادة هي أيضاً للابن نفسه وبالروح القدس، ولذلك أعتقد أنه عندما يقال إن الله الآب يعلن ابنه الوحيد، ويدعو الذي يريد أن يؤمن، فإن الابن نفسه هو الذي يفعل ذلك أيضاً، والروح القدس يعمل أيضاً وليس بأقل .. وبولس –على سبيل المثال– يفتخر بما يناسبه بكل صواب صارخاً عن معرفته بسر المسيح: "لم أقبله من إنسان ولا تعلمته ولكن باستعلان يسوع المسيح" (غلا ١: ١٢)، فالروح القدس لا يعلن المسيح لنا بشكلٍ أقل؛ لأن يوحنا الحكيم جداً يكتب: "أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا تحتاجون إلى أن يعلِّمكم أحد بل المسحة تعلِّمكم كل شيء" (١يو ٢: ٢٧). والمخلص نفسه يقول في موضع آخر عن الباراكليت، أي الروح: "وعندي أشياء أخرى أقولها لكم ولكن الآن لا تستطيعون ولكن عندما يأتي الروح الحق (وردت بأداة التعريف "ال" كلمة الروح) هو يقودكم إلى كل الحق لأنه لا يتكلم من ذاته بل بما يسمع يتكلم، وهو سوف يعلن لكم أموراً آتية: لأنه يمجدني لأنه يأخذ مني ويعلنها لكم" (يوحنا ١٦: ٣٤) ولأنه روح الحق فهو ينير كل من يسكن فيه ويقوده إلى معرفة "الحق".

في ضوء ما تقدم، نوجّه سؤالاً لنيافة المطران:

*** هل قَبِل "روح قدس" عندما صار أسقفاً، فيكون آخر غير الله، بل آخر غير روح الآب، هو الذي قدسه؟**

إن كان ردُّ المطران بالإيجاب مصراً على "روح قدس"، فليعلم أن كل ما يعمله من أعمال الكهنوت لا علاقة لها بالثالوث.

*** وسؤال آخر في ضوء ما سبق وذكرناه: هل يمكن لروح قدس أن يعلن الحق، أي الرب يسوع، والله الآب، ويكون هذا مجرد روح قدس غريب عن جوهر الثالوث؟**

الجواب بالإيجاب يضع المطران خارج شركة الكنيسة الجامعة؛ لأن "روح قدس" هو روحٌ مخلوق لا يعلن الخالق، ولكن الروح القدس هو الذي يفحص أعماق الله، وهو الذي يعلن يسوع ربَّاً (١ كور ١٢: ١ – ٣)، هو الروح الخالق الذي يفحص القلوب (رو ٨: ٢٦ – ٢٧).

وبعد الشرح السابق يكمِّل القديس كيرلس الكبير شرحه، وكأنه يعيش معنا محنة التعليم:

> "وعندما نقول هذه الأمور (الخاصة بالاستعلان)، فإننا لا نفصل ونقع في التعدد، أو نفصل الآب تماماً عن الابن، أو الابن من الآب أو الروح القدس من الابن، بل بالحري عندما نحدد صفات كل أقنوم الخاصة بكل واحد من الأقانيم، فإن الإرادة والأفعال هي خاصة بالطبيعة الإلهية ككل، والسبب هو أنه طبيعة واحدة هي التي نعترف بها ونراها في الثالوث القدوس الواحد بالجوهر. وكل طبيعة إلهية لأي أقنوم تعمل بقواها بشكل خاص بها، ولكن دون انفصال عن الآخرين، رغم أن أي عمل خاص يُنسب لأي أقنوم خاص بطبيعة الأقنوم؛ لأن الآب هو الآب في ذاته، وكذلك الابن والروح القدس"[١].

---

(١) أضيفت كلمة أقنوم إلى النص من أجل الإيضاح، ولكنها غير موجودة في الأصل. راجع ترجمة إنجليزية غير دقيقة – المرجع السابق ص ٢٢٧.

الروح يعطي حياة والجسد لا يفيد شيئاً (يوحنا ٦: ٦٣):

لماذا قال الرب إن الجسد لا يفيد شيئاً، وهو يقدِّم التعليم الإلهي عن المن السماوي وخبز الحياة. يقول القديس كيرلس:

"إن طبيعة الجسد هي الضعف، ولكن على الرغم من ذلك، لأنه جسد الكلمة واهب الحياة وفيه (الجسد) كل القوى الإلهية لأن الجسد هو جسد من هو الحياة بالطبيعة وليس لكائن أرضي آخر. والكلمات "الجسد لا يفيد شيئاً" هي بكل حق عن أولئك الذين لهم طبيعة ترابية، فلا جسد بولس – على سبيل المثال– أو جسد بطرس أو أي إنسان آخر يعطي حياةً لنا، بل جسد المسيح مخلصنا وحده دون غيره الذي فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولو ٢: ٩).

ويتابع القديس كيرلس شرحه:

"وحقاً يبدو غريباً أن يظن أحد أن العسل يعطي حلاوته لأن شيئاً اختلط به لكل ما هو ليس حلواً، بينما الطبيعة الواهبة الحياة لله الكلمة لا ترفع إلى مستوى صلاحها الجسد الذي يحل فيه، لذلك الكلمات "الجسد لا يفيد شيئاً" هي عن إنسان آخر، ولكن ليس كذلك بالنسبة للمسيح؛ لأن في جسده تحل الحياة، أي الابن الوحيد. وهو يقول إنه هو (المسيح) روح؛ لأن الله روح (يوحنا ٤: ٢٤)[١]. وحسب بولس المبارك: "الرب هو روح" (٢كو ٣: ١٧)[٢]. وعندما نقرأ هذه الكلمات، فنحن لا ننسى الروح القدس الكائن حسب (أقنومه) ولكن كما أن المسيح يدعو نفسه "ابن الإنسان" لأنه صار إنساناً، فهو يصف نفسه باسم روحه. وروحه ليس خاص بكائن آخر، بل للمسيح".

---

(١) وردت بدون أداة تعريف الـ في الأصل، ومع ذلك الكلمات عن الله وليس عن إلهٍ آخر غيره.

(٢) وردت بدون أداة التعريف الـ ولكن الكلام عن الرب، ليس عن آخر، وهو هنا ليس عن موهبة، بل عن الأقنوم.

الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة (يوحنا ٦: ٦٣) يسوع يملأ جسده بالروح القدس:

يكمل القديس كيرلس الكبير شرحه:

"وهو يملأ جسده كله بالقوات الواهبة الحياة للروح لأنه يصف جسده (في العبارة السابقة الروح هو الذي يُحيي) دون أن ينكر الحقيقة أنه جسد؛ لأن جسده اتحد اتحاداً كاملاً ولبس القوة الواهبة الحياة، ولذلك الآن يجب أن يُدعى أيضاً "روح" ولا عجب في هذا ولا يجب لأحد أن يعثر لأنه قيل "من اتحد بالرب فهو روح واحد معه" (كو ٦: ١٧) فكيف لا يدعى جسده واحداً معه؟[١].

ويسأل القديس كيرلس كيف نفهم هذا؟ ويجيب:

"لا يعطي الجسد حسب طبيعة الروح الواهب الحياة، ولكن قوة الروح له تجعل الجسد محيياً" (المرجع السابق ص ٢٤٧).

تعليق القديس كيرلس على استخدام روح للابن:

"أحياناً يُدعى الابن "روحاً" في الأسفار المقدسة؛ لأن يوحنا المبارك يكتب هذا الذي جاء بماء وروح يسوع المسيح، ليس بماء فقط، بل بالروح (أداة التعريف الـ في الأصل) والروح نفسه هو الذي يشهد لأنه الروح (أداة التعريف في الأصل)هو الحق (١ يوحنا ٥: ٦). تروون أنه يدعو الحق "روحاً" لأن المسيح يصرخ بوضوح: "أنا هو الحق"، وبالإضافة إلى ذلك يكتب بولس: "الذين هم في الجسد لا يقدرون أن يرضوا الله ولكن نحن لسنا في الجسد بل

---

(١) تجد هذه العبارة "وجعله واحداً مع لاهوته" في الاعتراف الأخير في قداسنا القبطي.

في الروح (أداة التعريف الـ في الأصل) إن كان روح الله (أداة التعريف ألـ في الأصل اليوناني، ولكن سلاسة الترجمة تحذف أداة التعريف) ساكن فيكم وكل من ليس له روح المسيح (أداة التعريف الـ في الأصل اليوناني) ليس له المسيح، ولكن إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية أما الروح فحياة بسبب البر" (رو ٨: ٨-١٠). وفي هذه الفقرات بعد أن أعلن أن روح الله (أداة التعريف الـ) ساكناً فينا قال إن المسيح نفسه هو فينا. روح الابن ليس مختلفاً عن الابن على الأقل بسبب وحدة الطبيعة رغم أن للروح وجوده المتمايز ...".

لم يكن الروح قد أعطي بعد (يوحنا ٧: ٣٩):

حرفياً وحسب الأصل اليوناني "لم يكن الروح"، فما هو المقصود من عبارة الإنجيل؟ "يشرح القديس كيرلس هذه الكلمات بشرح جدير جداً بالانتباه. فهو يقول:

"كيف" لم يكن "الروح" رغم أنه من الواضح أن خورس عظيم من الأنبياء تكلموا بالروح عن الأسرار الإلهية الخاصة بالمسيح من خلال الخطابات الطويلة؟ .. صموئيل على سبيل المثال يقول عن شاول: "روح الرب يحل عليك وتصبح إنساناً آخر" (١ صم ١٠: ٦) وقيل عن إليشع نفسه إنه بعد أن سمع العواد *Harpist* كانت يد الرب عليه (٢ ملوك ٣: ١٥) بل إن الرب يسوع المسيح نفسه يشهد عن داود المبارك أنه تكلم بأسرار بالروح (مرقس ١٢: ٣٦) ... الإنسان (الأول) العاقل الترابي والحي خُلِقَ بدون فساد. والسبب في كلمات الانجيل (يوحنا ٧: ١٩) أن الانسان عاش في عدم فساد؛ لأن الفضائل التي عاشها كانت بسبب حلول روح الله فيه "ونفخ في وجهه نسمة الحياة – كما هو مكتوب (تك ٢: ٧) ولكن بالخدعة القديمة سقط الانسان في الخطية، وقليلاً قليلاً ازداد في الخطية حينما عانى خسارة الروح ومع هذا كل البركات الأخرى ... ولكن لما أراد صانع كل

الأشياء أن "يجمع كل شيء في المسيح" (أفسس ١: ١٠) وأراد أن تعود الطبيعة الإنسانية مرة أخرى إلى حالتها الأولى، وعد بأن يعطي مع العطايا الأخرى الروح القدس (أداة التعريف الـ في الأصل) للطبيعة الإنسانية".

نسمة الحياة أُعيدت في (يوحنا ٢٠: ٢١-٢٢)، ولذلك يكمل القديس كيرلس شرحه:

"لم يكن هناك وسيلة أخرى إلى إعادة الثبات غير المتزعزع والبقاء في الصلاح، ولذلك يحدد زمان نزول الروح علينا بهذا الوعد: "في هذه الأيام – أي أيام مخلصنا– سوف أسكب من روحي على كل جسد" (يوئيل ٢: ٢٨). وعندما جاء زمان فيض الصلاح الذي جاء مع مجيء الابن الوحيد بالجسد على الأرض أمام الكل. وعندما وُلِدَ كإنسان من امرأة —كما يقول الكتاب المقدس (غلا ٤: ٤)، أعطى الله الآب الروح مرة ثانية؛ لأن يسوع كان أول مَن قَبِل الروح كباكورة ثمار الطبيعة التي جُدِّدت؛ لأن يوحنا يشهد قائلاً: "رأيت الروح نازلاً عليه من السماء ومكث عليه" (يوحنا ١: ٣٢)".

معمودية يسوع جعلت يسوع يقبل الروح لأجلنا[١]. وهنا يسأل القديس كيرلس:

"لكن كيف قَبِلَ يسوع وبأي معنى؟ هذه عبارة تستدعي الفحص. هل قَبِلَ الروح لأنه لم يكن فيه الروح؟ نقول لا بكل ما يحمله الإنكار؛ لأن الروح هو روح الابن. والروح لا يُعطى من الخارج مثل الكائنات الأخرى التي نتعامل معها، والتي أعطاها الله، ولكن الروح بالحري في الابن بسبب وحدة الجوهر أو الطبيعة كما هو في الآب لأنه ينبثق من الآب بالابن[٢] ثم للقديسين، كلٌّ

(١) راجع مقالنا: لماذا اعتمد يسوع؟ منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

(٢) هذه العبارة وردت أكثر من مرة، ولكنها لا تدعم التعليم بالانبثاق من الآب والابن؛ لأن انبثاق الروح القدس هو من الآب، ولكنه بالابن؛ لأن الابن ليس منفصلاً عن الآب والروح، ولأن الابن هو الذي يعطي الروح في التدبير.

يأخذ نصيبه حسب ما هو مناسب. الابن قَبِلَ الروح عندما صار إنساناً. وقبول الروح مناسبٌ للإنسان. وبنفس التدبير، الابن هو من الله الآب ومولود من جوهره قبل تجسده، أو بالحري قبل كل الدهور، فالابن لا ينزعج عندما يقول له الله الآب عندما صار إنساناً: "أنت ابني واليوم أنا ولدتك" (مزمور ٢: ٧) فالآب يقول إنه الله الأزلي المولود منه، ولكنه وُلِدَ اليوم لكي يقبلنا نحن الآب بالتبني؛ لأن الإنسانية كلها هي في المسيح عندما صار إنساناً، ولذلك قيل إن الروح أُعطي للابن رغم أن الروح هو روحه لكي ما ننال نحن الروح، ولذلك السبب "يأخذ نسل ابراهيم –كما هو مكتوب– وصار مثل إخوته في كل شيء" (عب ٢: ١٦–١٧)".

الابن لم يقبل الروح لذاته:

"لم يقبل الابن الوحيد الروح القدس لنفسه؛ لأن الروح منه وفيه ويعطى بواسطته، كما قلت سابقاً. ولكن عندما صار إنساناً كانت فيه عندما تجسد الطبيعة الإنسانية كلها لكي ما ينقل الطبيعة إلى ما كانت عليه سابقاً ويعيدها إلى مكانتها الأولى".

لماذا سكب الروح بعد القيامة؟

يقول القديس كيرلس، الكبير حقاً:

"إذا كنتم تبحثون عن عدم انسكاب الروح قبل القيامة، بل بعدها، اسمعوا هذا: يسوع هو باكورة ثمار الطبيعة التي نالت التجديد؛ لأنه دمر قيود الموت. وقام حياً. فكيف يعود إلى الحياة الجديدة أولئك الذين ولدوا بعد الباكورة؟ كما أن النبات لا ينمو ويطلع من الأرض إلَّا إذا كان له جذره لأن الجذر هو سبب النمو، كذلك كان من المستحيل أن يحدث أي تجديد لنا إلَّا إذا

صار ربنا يسوع المسيح هو جذر عدم الفساد الذي نما وأثمر قبل جذرنا نحن. وهو هنا يعلن أن زمان نزول الروح القدس هو الآن، أي بعد القيامة من الأموات، ولذلك في هذا الزمان نفخ على التلاميذ وقال لهم: "اقبلوا الروح القدس" (وردت بأداة التعريف الـ (يوحنا ٢٠: ٢٢) لأن زمان التجديد كان على الأبواب أو بالحري داخل الأبواب" (المرجع السابق ص ٣١٠).

ويعيد القديس كيرلس قصة الخلق كما سُجِّلَت في (تك ٢: ٧) عن نسمة الحياة التي وُهِبَت لآدم ويقول إن نسمة الحياة هي:

"بكل وضوح هو روح المسيح الذي قال أنا القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥) (ص ٣١١).

الروح القدس في العهد القديم، والفرق بين عمل الروح في العهد القديم وعمله في العهد الجديد:

يقول القديس كيرلس:

"كان الروح في الأنبياء بسبب الحاجة للتنبؤ، ولكن الآن من خلال المسيح يسكن في المؤمنين، وبدأ به (المسيح) هو كبداية عندما تأنَّس. كإله لا يوجد مكان يفصل بينه وبين الروح القدس الذي ينبع منه حسب الجوهر؛ لأنه روحه، ولكنه مُسح لأجلنا وقيل إنه قَبِلَ الروح كإنسان، واشترك في الخيرات الإلهية ليس لأجل ذاته هو، ولكن لأجل الطبيعة الإنسانية كما شرحت سابقاً. وعندما يقول الإنجيلي الإلهي لنا: "لم يكن الروح قد أعطي بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجد"، علينا أن نفهم أنه كان يشير إلى كمال وملء سكنى الروح القدس في البشر" (ص ٣١١-٣١٢).

الباراكليت في إنجيل القديس يوحنا، هل هو روح قدس أم الروح القدس

الذي نزل على يسوع واستقر عليه هو "الروح" (يوحنا ١: ٣٢)، وقد شرحنا كيف نقل الرب الولادة البيولوجية إلى ولادة سماوية في تعليمه لمعلم اسرائيل نيقوديموس (يوحنا ٣: ٥-٨). ويجب أن ندقق في هذا النص؛ لأن الروح القدس هو مصدر وسبب الولادة الثانية التي بها، أي بهذه الولادة، ندخل ملكوت الله. ورغم أن التعليم المعاصر عن ملكوت الله لم يتجاوز العموميات لكي يشرح أعماق العمل الإلهي في الإنسان، إلَّا أن الرب يسوع لم يحرمنا من الكشف عن هذه الأعماق، فهو في حواره مع المرأة السامرية يؤكد لها أن عطش الإنسان إلى الماء الطبيعي، ليس مثل عطش الإنسان إلى "الماء الذي يعطيه هو"؛ لأن هذا الماء -وهنا كما شرح القديس كيرلس سابقاً معنى كلمة "الماء"- يصبح "ينبوع ماءٍ ينبع إلى حياة أبدية" (يوحنا ٤: ١٣-١٤).

فهل غابت هذه الحقيقة عن صاحب الادعاء الغريب عن "روح قدس"، وأنا أقصد حقيقة عطية الحياة الأبدية الدائمة التي تنبع مثل ينبوع مياه حية، والواهب هنا هو الحي الأبدي يسوع؟

يسوع هو واهب الحياة الأبدية بالإيمان به (راجع يوحنا ٥: ٢١ و٤٠ — ٦: ٣٣ و٣٥ — ١٠: ١٠ — ٢٠: ٣١)، وهبة الحياة الأبدية هي **الروح القدس**؛ لأن يسوع كان يتكلم عن "الروح القدس".

وعندما جاء عيد المظال، الذي وصفه الإنجيل بأنه "العيد العظيم"، يقول الإنجيلي يوحنا: "وقف يسوع في الهيكل وقال بصوت عال: إن عطش أحد، فليقبل إليَّ ويشرب" (٧: ٣٨) "من آمن بي —كما قال الكتاب تجري من قلبه أنهار ماء حيه. الآن قال هذا عن الروح الذي كان سيُعطى لمن يؤمن به لأن الروح لم يعد (قد أُعطي) بعد لأن يسوع لم يكن قد تمجد" (يوحنا ٧: ٣٩). الدراسات المعاصرة تؤكد كلمة القلب لا

البطن، وحسب القراءة الدقيقة، القلب هنا، هو قلب يسوع نفسه[١] عندما يدعو المؤمنين إلى أن يجيئوا اليه ويشربوا.

في عيد المظال كان رئيس الكهنة، أو أحد الكهنة يخرج باكراً إلى بركة سلوام ويحضر الماء إلى الهيكل ويسكب الماء تقدمة للرب أثناء تسبيح (مزمور ١١٣ – ١١٨) واقتباس من (اشعياء ١٢: ٣) "بفرحٍ تستقون مياه من ينابيع الخلاص". كان هذا جزءٌ هام في طقس الهيكل القديم، وكان الماء بشكل عام هو وسيلة الاغتسال والتطهير، وهو مصدر حياة النباتات والأشجار والإنسان، ولكن هنا المياه الحية تأتي وتنبع من يسوع المسيح؛ لأن يسوع هو الهيكل (يوحنا ٢: ٢١، وهو ما يتكرر أيضاً في رؤ ٢١: ٢٢ – ٢٢: ١). وهنا لدينا أحد الاستعارات أو الرموز عن الروح القدس، وهو (المياه الحية)؛ لأنه في إنجيل يوحنا ليس فقط الحياة (يوحنا ٢٠: ٢٢)، بل أيضاً المياه (حزقيال ٤٧: ١-١٢ – اشعياء ٤٤: ٣ وبعده)؛ ولذلك، من الهيكل بعد توزيع جسد الرب، يسكب الكاهن الماء على الشعب من نهر الروح القدس[٢].

روح الحق (يوحنا ١٤: ١٧ – ١٥: ٢٦ – ١٦: ١٣):

وكلمة الباركليت لها عدة معانٍ: المدافع – المعزِّي – المعين، وهذه المعاني كلها هي أعمال الأقنوم؛ لأنها أعمال الله:

* يقول الرب إنه سوف يعطي "معزِّياً (باركليت) آخر" (يو ١٤: ١٦-١٧) "يمكث معكم إلى الأبد" (١٤: ١٧). هذا سوف يأتي باسم يسوع حسب قول الرب نفسه عن "الروح القدس المعزي الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء.." (يو ١٤: ٢٦)، وهذا ليس عن مواهب، بل عن الأقنوم نفسه، الباركليت الذي سوف

---

(١) حسب شرح العلَّامة أوريجينوس في قال جيد للأب J. Danielou بعنوان رمز المياه الحية، في مجلة RSR مجلد ٣٢ س ١٩٥٨ – ص ٣٣٥ – ٣٦٤.

(٢) راجع بحثنا عن رش المياه بعد القداس، القداس الإلهي، ص ٢٠١ وما بعدها. منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

يعلِّم ويذكِّر بكل ما علَّم به يسوع.

* الباركليت من عند الآب ينبثق (يو ١٥: ٢٦). ويسوع هو الذي سيرسله؛ لأنه يشهد ليسوع أنه الرب وابن الآب (راجع ١كو ١٢: ٣). هذا عمل الأقنوم؛ لأن الشهادة ليست من مواهب الروح، بل عمل مباشر في القلب.

* ولأنه الأقنوم، يقول الرب يسوع نفسه عن روح الحق إنه "لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية" (يو ١٦: ١٣-١٤). والمواهب لا تسمع، بل يضيف الرب نفسه أن: "ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" (١٥: ١٤).

وهنا لا يملك المعاند حجةً؛ لأن الموهبة لا تأخذ من الابن، ولا إرادة لها لكي تعطي كعمل أو هبة من هبات الله. بل هذا هو عمل الأقنوم الإرادي الفاعل؛ لأننا لا يجب أن ننسى أن الروح القدس:

* يُرسَل باسم يسوع (يو ١٤: ١٦).

* يعلِّم التلاميذ (يو ١٤: ٦).

* يشهد ليسوع (يو ١٥: ٢٦).

* يمجد يسوع ويأخذ منه، أي من يسوع، ما يخص يسوع، ونحن نعني هنا البنوة بالذات كمصدر للتبني (يو ١٦: ١٤).

* يسمع من يسوع (يو ١٦: ١٣).

أما مع التلاميذ:

* يعرفون الباركليت (يو ١٤: ١٧).

* يمكث معهم إلى الأبد (يو ١٤: ١٦)، في حين أن المواهب ليست أبدية.

* يكون فيهم (يو ١٤: ١٣).

* يُعلِّم التلاميذ (يو ١٤: ١٦).

* يقودهم إلى كل الحق (يو ١٦: ١٣).

* يخبرهم بأمور آتية في استعلانات إلهية (يو ١٦: ١٣).

وبعد، مَن هو الباركليت حسب كلمات الإنجيل؟

* يمكث ويسكن في التلاميذ (يو ١٤: ١٧)، وهو يكون أو يمكث إلى الأبد (يو ١٤: ١٧).

* يأتي من عند الآب، ويرسله يسوع نفسه، فهو ليس موهبة (يو ١٦: ٧).

* منبثق من الآب (يو ١٥: ٣٦).

* معلم (يو ١٤: ٢٦).

يُذكِّر (يو ١٤: ٢٦).

* يتكلم (يو ١٦: ١٣).

* يُمجِّد يسوع (يو ١٦: ١٤).

* يُرشد إلى جميع الحق. فهو ليس روح، ولا هو موهبة؛ لأن جميع الحق هو الله نفسه (يو ١٦: ١٣).

* يشهد ليسوع (يو ١٥: ٢٦).

* يبكِّت على خطية (يو ١٦: ٨).

وبعد، ماذا يمكن أن نقول شرحاً لكلمات ربنا يسوع نفسه؟

هل هذا روح قدس أو موهبة؟!! عيب.

إن كل الأفعال العشرة السابقة، هي خاصة بالله، وتعيد الإنسان إلى يسوع، لا سيما الشهادة والتعليم والكلام، بل والأهم هو تمجيد يسوع.

يسوع والباركليت في إنجيل يوحنا:

* الباركليت من عند الآب (١٤: ١٦)، ويسوع أرسله الآب (٣: ١٦).

* هو مع التلاميذ (١٤: ١٦)، ويسوع معنا ومع التلاميذ (٣: ٢٢ – ١٤: ٢٠ – ١٤: ٢٦).

* العالم لا يقدر أن يقبله لعدم الإيمان (١٤: ١٧)، ونفس الكلام أيضاً عن يسوع (١: ١١ – ٥: ٣).

* يعلِّم (١٤: ٢٦)، ويسوع أيضاً يعلِّم (٧: ١٤ – ٨: ٢٠ – ١٨: ٣٧).

* يشهد ليسوع (١٥: ٢٦)، ويسوع أيضاً يشهد للآب (٥: ٣٠ – ٨: ١٣ – ٧: ٧).

* يُمجد يسوع (١٦: ١٤)، ويسوع أيضاً يمجد الآب ١٢: ٢٨ – ١٧: ١ و٤).

* هو روح الحق (١٦: ١٣)، ويسوع أيضاً هو الحق ٥: ٣٣ – ١٨: ٣٣ – ١٤: ٦).

هذه هي دائرة عمل الثالوث، الآب يرسل الابن، والابن يرسل الروح الباركليت. ومع أن كلمة الدائرة ليست دقيقة، ولا هي ضرورية، إلَّا لمجرد الإيضاح، ذلك لأن ما يصدر من أقنوم إنما يعود مباشرةً على الأقنومين الآخرين. كل أقنوم يقود إلى الآخر.

بعد كل هذا، نحن نرى الله الباركليت العامل فينا والشاهد ليسوع؛ لأنه **يعرف يسوع ويسمع يسوع ويأخذ مما ليسوع ويعطي**.

الفصل السابع

شرح النصوص الخاصة بالباركليت

للقديس كيرلس عمود الدين

في انتظار المجلد الثاني لشرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الذي نُشر المجلد الأول في سلسلة *Ancient Christian Texts* والذي استُخدِم في الصفحات السابقة، ولكن في هذه الصفحات نعود إلى المجلد الثاني الذي أصدره *P. Epusey* وصدر في اوكسفورد ١٨٨٤ وبعدها نُشرت الترجمة الانجليزية في ١٨٨٥ بواسطة *H. P. Liddon* لكن يبقى الأصل في مجموعة الآباء اليونانيين مجلد ٧٣ – ٧٤ هو المرجع الأصلي الذي يجب أن يعود إليه القارئ.

المعزِّي الآخر (يوحنا ١٤: ١٦–١٧):

ما معنى الباركليت – المعزِّي الآخر؟ يجيب القديس كيرلس:

> "يسمي يسوع الروح باركليت آخر؛ لأنه يريد لنا أن نؤمن بأن له صفات أقنوم خاصة به. ومع أن الباركليت له ذات العمل الذي يماثل عمل (يسوع) ويعمل نفس ما يعمله الابن وما يرى الابن عامله إلَّا أنه متمايزٌ .. ولذلك حقاً دعاه يسوع روح الحق، وهو روح الابن؛ لأن الابن في ذات الخطاب قال إنه هو "الحق". (مجلد ٢ ص ٣٠٢).

ويسأل القديس كيرلس:

"كيف يكون هذا، لو كان الابنُ من جوهرٍ آخر غير جوهر الآب، فكيف يعطي روح الحق الذي هو للآب كعطية منه (أي من الابن)؟ لأنه مكتوبٌ أنه نفخ على تلاميذه قائلاً: "اقبلوا الروح القدس" (يوحنا ٢٠: ٢٢)".

ألا يخجل أي معاند؟ أليس روح الحق، روح الآب هو الأقنوم الثالث الذي يهبه الابن؟ (المرجع السابق ص ٣٠٣).

ويقول إن النَفَس *Breath* يصدر من الإنسان، من جسده، لأنه نَفَسُ *Breath* الإنسان، ويقارن بين هذا، وكيف نفخ الرب "وحقاً نفخ المسيح نفخةً حسِّيَّةً مؤكداً أنه يهب الروح" (ص ٣٠٣).

ويدافع عن ألوهية الروح القدس ويسأل: لو أن الروح القدس مخلوق وليس من جوهر الآب، "فكيف وبأي معنى دُعينا نحن هياكل الله (١كو ٣: ١٦)؛ إذا كنا قد قبلنا روحاً مخلوقاً وليس الله؟ (ص ٣٠٤).

وبعدها مباشرة يقول:

"وكيف أن الذين لهم شركة الروح صاروا شركاء الطبيعة الإلهية (٢بط ١: ٤) .. هو يقدِّس (المؤمنين) ويملأهم بكل الخيرات ويحررهم من عار العبودية الإنسانية، ويمنح لهم امتياز التبني كأبناء، ويشهد بولس على ذلك "ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبا أيها الآب" (غلا ٤: ٦)" (ص ٣٠٤).

"والباركليت آخر؛ لأنه ليس ابناً ولا هو الابن، بل هو متمايز عن الابن" (ص ٣٠٥). هو "الروح بالحري الروح المنبثق من الآب، والذي نؤمن بأنه روح الابن، ولذلك يدعى عقل (إدراك – فكر) المسيح كما يقول بولس:

"ولكن لنا فكر – عقل – فهم – إدراك المسيح" (١كو ٢٠: ١٦) (ص ٣٠٦).

ويقول عن عبارة الرسول بولس "إذا كان أحد ليس له روح المسيح، (كلمة روح وردت هنا بأداة التعريف الـ) فليس له المسيح، وبعدها يقول: "ولكن إن كان المسيح فيكم، فالجسد ميِّتٌ بسبب الخطية، ولكن الروح حياة بسبب البر" (رو ٨: ٩-١٠) ألا تسمعون كيف يعبِّر عن الاعتراف بأننا نملك المسيح، نحن الذين قبلنا الروح؟ وهو يقول في موضع آخر: "أنا أعتقد أن لي روح (وردت بأداة التعريف الـ) الله" (١كو ٧: ٤٠) وعندما يخاطبنا يقول لنا: "إذا كنتم تطلبون برهاناً عن المسيح الذي يتكلم فيَّ" (ص ٣٠٦) (٢كو ١٣: ٣).

وكيف يدعى الروح القدس الله؟ "ألا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣: ١٦)؟ أليس لأن الروح يسكن فينا وصرنا بذلك هياكل الله، فكيف لا يكون الروح آخر غير الله ولا من جوهره وهو الذي يجعل الله يسكن فينا بواسطة سكناه فينا؟ (٣٠٦-٣٠٧).

كيف أعادنا تجسد الابن إلى شركة الآب؟ كيف صار حتى الجسد مشتركاً في الآب؟

يقول القديس كيرلس:

"لقد اشترك الابن في اللحم والدم عندما صار إنساناً، وهو بالطبيعة الله مولود من الحياة، أي من الذي هو الحياة الله الآب، لأنه الابن الوحيد الكلمة. وبما يفوق الإدراك والقدرة على التعبير، وحَّد ذاته بالجسد الذي هو حسب طبيعته بائدٌ؛ لكي ما يعيد حتى الجسد مرةً ثانيةً إلى الحياة، أي حياته هو، ويجعل الجسد بواسطة كيانه مشتركاً في الله الآب؛ لأنه الوسيط الوحيد بين الله والانسان (١ تيمو ٢: ٥). كما هو مكتوب متَّحد بالله الآب

حسب الطبيعة؛ لأنه الله وفي الآب، ومتَّحد بالبشر لأنه صار إنساناً لأنه هو ذاته في الآب وهو بهاء مجده وصورة أقنومه (جوهره) (عب ١: ٣) .. الكلمة صار جسداً –حسبما قال يوحنا– مُعيداً خلقتنا (أو تكويننا) إلى حياته الذاتية؛ لأنه هو ذاته فينا، ونحن جميعاً صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ١: ٤)، ونلنا اسم البنين، وبنفس (التدبير) الآب نفسه فينا بواسطة الابن (غلا ٤: ٦)، والروح ليس غريباً عن الابن .." (ص ٣٢٠-٣٢١).

" .. بواسطة الروح صرنا خلقةً جديدةً لحياة أبدية يشهد لنا فيها صاحب المزامير الإلهي عندما يصرخ إلى الله إله الكل: "تفتح يديك وتملأ كل الاشياء من خيراتك. عندما تحول وجهك يرتاعون، أنت تنزع أنفاسهم فيسقطون ويعودون إلى تراب. أنت ترسل روحك ليصيروا جديداً وتجدد وجه الأرض" (مزمور ١٠٣: ٢٨ – ٣٠ س وهو مزمور ١٠٤). ألا تسمعون كيف أن تعدي آدم، جعله "يحوِّل" وجوده بعيداً عن الله، وصار الحكم ثقيلاً عندما جعلت الإنسان "يرتاع" عندما أعاده إلى تراب الأرض الذي جُبِلَ منه؟ ولكن عندما يرسل الله روحه، جعلنا شركاء طبيعته، وبالروح جدد وجه الأرض؛ لأننا نتجلى بالحياة الجديدة طارحين الفساد الذي تأتي به الخطية، ومرةً ثانية نُمسك بالحياة الأبدية" (٣٢٠-٣٢٢).

إليه نأتي وعنده نصنع منزلاً (يوحنا ١٤: ٢٣):

يقول القديس كيرلس:

"عندما يقول (المسيح) أنا والآب نأتي إليه وعنده نصنع منزلاً، لأنه عندما يسكن فينا مخلصنا المسيح بالروح القدس، يقيناً، الآب أيضاً سيكون فينا؛ لأن روح المسيح هو روح الاب. وبولس الموحى له يتكلم عن الروح كروح الآب، وأحياناً كروح الابن، وهذا لا يناقض قانون المنطق، بل بالحري هذا حق منطقياً لأنها حقيقة. يقول أحياناً: "الذي أقام المسيح يسوع من بين

الأموات سوف يحيي أجسادكم المائتة بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، وأيضاً مرةً ثانية: "لأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبا أيها الآب" (غلا ٤: ٦). ألا ترون إنه هو نفسه ذات الروح للآب والابن؟ وعندما يسكن الابن الوحيد في قلوبنا، فالآب ليس بعيداً؛ لأنه كما أن الابن ذاته في الآب، لأنه من ذات الجوهر الواحد معه، وهو بالطبيعة في الآب" (ص ٣٣٠).

ونفس السؤال السابق: إذا كان الروح القدس مخلوقاً أو غريباً عن جوهر الآب،

"فكيف يسكن الله فينا؟ وكيف يقدر من يقبل الروح أن يشترك في الله؟ من المستحيل على أي إنسان أن يشترك في الله الحي وبأي وسيلة غير الروح؟" (ص ٣٣٠).

الفصل الثامن

أداة التعريف (الـ) الخاصة بالروح القدس

في رسائل القديس بولس

رسائل القديس اثناسيوس إلى سرابيون:

على الرغم من أن هذه الرسائل معروفة منذ القرن الرابع، أي منذ ١٦٠٠ سنة، وكُتِبَت لهدفٍ واحد، وهو تأكيد ألوهية الروح القدس. وصدرت ثلاث ترجمات عربية متلاحقة: ترجمة الأب مرقس داود – ترجمة كاتب هذه الدراسة – ترجمة مركز الآباء. لم ندرس هذه الرسائل في الإكليريكية، ولم أسمع ولا حتى محاضرة واحدة عنها إلَّا عندما بدأت الدراسة في جامعة كامبريدج. ما ذكره القديس اثناسيوس يكفي عن استخدام أداة التعريف الـ للروح القدس. وهنا لم نجد بُداً من أن نضع تحت ناظري القارئ النص بالكامل حتى لا يتحجج أحد بعدم التمكن من الوصول إليه[١].

> "٤- واذن فلتقولوا لنا، أين وجدتم في الكتاب المقدس، أن الروح القدس، يدعى فقط "روح"، ويشار إليه دون إضافة اسم "الله" إليه، أو "الآب" أو أنه "روحي" أي روح "المسيح نفسه" أو "الابن" أو "مني" التي تعني "من الله" أو يُذكَر مقترناً "بأداة التعريف"، فلا يقال عنه "روح" بل "الروح" أو يسمى "الروح القدس" أو "المعزي" أو "روح الحق" الذي يعني "روح الابن" الذي

(١) راجع، الرسائل عن الروح القدس إلى الأسقف سرابيون، ترجمها عن اليونانية د. موريس تاوضروس، د. نصحي عبد الشهيد، مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء رقم ٣١، مايو ١٩٩٤، ص ٣٢: ٤٩.

يقول "أنا هو الحق" (يو ١٤: ٦) حتى أنكم بمجرد أن تسمعوا كلمة "روح" تظنون أنها تعني "الروح القدس".

والآن علينا أن نستثني، هؤلاء الذين، إذ أخذوا الروح القدس، فإنهم يسمونه أيضاً ببساطة "روح". وكذلك هؤلاء. الذين إذ سبق وتعلموا عن الروح القدس، فإنه فيما بعد، إذا ذُكِرَ فقط باسم "روح"، بقصد التكرار أو التذكر، فإنهم لن يجهلوا عن أي روحٍ يسمعون، وعلى الأخص عندما يُذكر هكذا مقترناً بأداة التعريف.

وبالإجمال، فإنه بدون أداة التعريف، وبدون إحدى الاضافات التي تكلمنا عنها آنفاً، فإن الكلمة لا يمكن أن تدل على الروح القدس، كما يبدو في مثل هذا الذي كتبه بولس للغلاطيين "أريد أن أتعلم منكم هذا فقط، أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان" (غلا ٣: ٢). فأي روح آخر أخذه هؤلاء غير الروح القدس الذي يُعطى للذين يؤمنون ويولدون ثانية بغسل الميلاد الثاني. ويكتب للتسالونيكيين "لا تطفئوا الروح" (١تس ٥: ١٩) وهو يقول هذا، لهؤلاء الذين قد عرفوا ذلك الذي أخذوه، حتى لا يطفئوا، عن إهمالٍ، نعمة الروح المشتعل فيهم. وفي الأناجيل، عندما تكلم البشيرون عن المخلص بتعبيرات بشرية، من أجل الجسد الذي أخذه "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح" (لو ٤: ١) "ثم أُصعد يسوع إلى البرية من الروح" (مت ٤: ١)، فإن الكلمة لها نفس المعنى، لأن لوقا سبق وقد قال "ولما اعتمد الشعب اعتمد يسوع أيضاً وإذ كان يصلي، انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة" (لو ٣: ٢١-٢٢). وواضح هنا، أنه عندما يقول "الروح"، فان المقصود هو "الروح القدس". وهكذا أيضاً حيث يكون الروح القدس مع البشر، حتى وإن ذُكرت كلمة "الروح" بدون أية إضافة، فليس هناك من شك، أنها تعني "الروح القدس" وعلى الأخص، عندما تُذكر الكلمة مقترنة بأداة التعريف.

٥- فهل يمكن لكم أن تجيبوا على سؤالي الذي وجهته إليكم، إذا كان من الممكن أن تجدوا في مكان ما في الكتاب المقدس، أن الروح القدس سُمِّيَ ببساطةٍ "روح" دون الإضافات التي تكلمنا عنها سابقاً، ودون الملاحظات التي ذكرناها. إنكم لن تستطيعوا الإجابة، لأنكم لن تجدوا شيئاً مكتوباً مثل هذا.

بل قد كتب في سفر التكوين "وروح الله يرف على وجه المياه" (تك ١: ٢)، وبعد قليل كتب "لا يبقى بعد روحي بين هؤلاء الناس لأنهم جسد" (تك ٦: ٣). وفي سفر العدد يقول موسى لابن نون "هل تغار أنت لي"؟ ليت كل شعب الرب كانوا "أنبياء، عندما يجعل الرب روحه عليهم" (عد ١١: ٢٩). وفي سفر القضاة قيل عن عوثنيئيل "وكان عليه روح الرب وقضى لإسرائيل" (قض ٣: ١٠)، وأيضاً قيل "وكان روح الرب على يفتاح" (قض ١١: ٢٩)، وعن شمشون قيل "فكبر الصبي وباركه الرب، وابتدأ روح الرب يرافقه" (قض ١٣: ٢٤، ٢٥)، "فحل عليه روح الرب" (قض ١٥: ١٤)، ويرنم داود "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز ٥٠: ١٣)، وأيضاً في المزمور المائة والثاني والأربعين "روحك الصالح يهديني في أرض مستوية من أجل اسمك، يا رب، هبني حياة" (مز ١٤٢: ١٠، ١١ س)، وكتب في اشعياء "روح الرب عليَّ لأنه مسحني" (أش ٦١: ١).

وبالإضافة إلى هذا قيل "ويل لكم أيها البنون المتمردون، هكذا يقول الرب: "أنتم تستشيرون استشارة وليس مني، وتقطعون عهوداً وليس بروحي، لتزيدوا خطية على خطية" (أش ٣٠: ١)، وأيضاً "اسمعوا هذا، لم أتكلم من البدء في الخفاء، منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (أش ٤٨: ١٦).

وبعد قليل، يقول هكذا "أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب، روحي الذي عليك" (أش ٥٩: ٢١)، ثم يضيف مباشرة فيقول "لا سفير ولا ملاك بل الرب نفسه خلصهم لأنه أحبهم وتراءف عليهم. هو نفسه فداهم وحملهم ورفعهم كل أيام الدهر ولكنهم تمردوا وأحزنوا روحه القدوس فتحول لهم عدواً" (أش ٦٣: ٩-١٠). ويقول حزقيال "وحملني روح وأتى بي إلى أرض الكلدانيين إلى السبي في رؤية بروح الله" (حز ١١: ٢٤). وفي دانيال "وبعث الرب الروح القدس في شكل شاب اسمه دانيال وصاح بصوت عظيم إني بريء من دم هذه المرأة" (دانيال سوسنة ٤٥، ٤٦). ويقول ميخا "إن بيت يعقوب أغاظ روح الرب" (مي ٢: ٧). ويقول الرب على فم يوئيل "ويكون بعد ذلك أني أسكب من روحي على كل بشر" (يوئيل ٢: ٢٨). وأيضاً على فم زكريا، فإن صوت الله يقول "لكن اقبلوا كلامي وفرائضي التي أرسلتها بروحي إلى عبيدي الأنبياء" (زك ١: ٦). وبعد ذلك بقليل، عندما يلوم النبي الشعب، يقول "جعلوا قلوبهم عاصية لئلا يسمعوا شريعتي والكلمات التي أرسلها رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين" (زك ٧: ١٢). ومن هذا الذي استدللنا به من العهد القديم، أشرنا بالقليل.

٦- وابحثوا أنتم أيضاً لتقفوا على ما حوته الأناجيل عن هذه الأمور، وما كتبه الرسل، سوف تعرفون، أن هناك أيضاً، يوجد اختلاف كبير، بين الأرواح (في معنى كلمة الروح). ومن الملاحظ أن الروح القدس لا يدعى ببساطة "روح" بل يذكر مع الاضافات التي أشرنا اليها سابقاً.

فبالنسبة للرب، كما سبق وأشرنا، عندما اعتمد كانسان، بسبب الجسد الذي لبسه. قيل إن الروح القدس نزل عليه (يو ١: ٣٢). وإذ أعطاه للتلاميذ، قال "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢)، وعلَّمهم "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الاب باسمي فهو يعلمكم كل شيء" (يو ١٤: ٢٦)، وبعد قليل، قال عن نفس الأمر "ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من

الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي" (يو ١٥: ٢٦)، وأيضاً "لأن لستم انتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت ١٠: ٢٢)، وبعد قليل "ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لو ١١: ٢٠). ولكي يكمل فيه كل معرفتنا عن الله (أي كل التعليم عن الله) ويتمم كمالنا الخاص، الذي به وحَّدنا مع شخصه، ومن خلاله مع الآب، أوصى تلاميذه "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨: ١٩)، وإذ وعدهم أنه سوف يرسله إليهم "أوصاهم أن لا يبرحوا اورشليم" (أع ١: ٤)، وبعد أيام قليلة "لما حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى، كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أع ٢: ١-٤).

ومن ذلك الوقت فصاعداً، كان الروح القدس يعطى للذين ولدوا ثانيةً، بوضع أيدي الرسل. وشخص ما يدعى أغابوس، تنبأ به قائلاً "هكذا يقول الروح القدس" (أع ٢١: ١١). وبولس يقول: "التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨). وعندما اعتمد الخصي "خطف روح الرب فيلبس" (أع ٨: ٣٩). وأيضاً كتب بطرس "نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس، الخلاص الذي فتَّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١بط ١: ٩-١١). وكتب يوحنا في رسالته "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه" (١يو ٤: ١٣). وكتب بولس للرومانيين "وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له. وإن

كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ٩ – ١١). وللكورنثيين: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلَّا روح الإنسان الذي فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلَّا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله" (١كو ٢: ١٠–١٢). وبعد قليل "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣: ١٦)، وأيضاً "لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا" (١كو ٦: ١١) وأيضاً "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو ١٢: ١١)، وأيضاً "وأما الرب فهو الروح، وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو ٣: ١٧).

وأنظر أيضاً كيف أرسل للغلاطيين، يقول "لتصير بركة ابراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح" (غلا ٣: ١٤). وايضاً "ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب. إذن لست بعد عبداً بل ابناً. وإن كنت ابناً، فوارث لله بالمسيح" (غلا ٤: ٦، ٧)، وإلى الأفسسين يقول هكذا: "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣٠)، وأيضاً "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" (أف ٤: ٣). ويكتب إلى الفيلبيين بكل جرأة وحرية "فماذا. غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق يُنادى بالمسيح، وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضاً، لأني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاصي بطلبتكم ومؤازرة روح يسوع المسيح، حسب انتظاري ورجائي أني لا أخزى في شيء" (في ١: ١٨ – ٢٠)، وأيضاً "لأننا نحن الختان الذين نعبد الله بالروح ونفتخر في المسيح يسوع" (في ٣: ٣)، والى التسالونيكيين، يثبت شاهداً: "إذاً مَن يُرذل لا يرذل إنساناً بل الله الذي أعطانا أيضاً روحه القدوس" (١تس ٤: ٨)، ويكتب للعبرانيين ما يلي:

"معلناً الروح القدس بهذا أن طريق الأقداس لم يظهر بعد، ما دام المسكن الأول له إقامة" (عب ٩: ٨)، وأيضاً "فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مُستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدِّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب ١٠: ٢٩)، وأيضاً "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة" (عب ٩: ١٣ – ١٤)، ويقول للتسالونيكيين: "وحينئذ سيستعلن الأثيم الذي يبيده الرب يسوع بروح فمه، ويبطله بظهور مجيئه" (٢تس ٢: ٨).

٧- على هذا النحو، قُدِّم الروح القدس في كل الكتاب المقدس، فلماذا فهمتم الروح، في أقوال النبي على نحو معين؟ لأن كلمة "روح" لا يقرنها النبي بأداة التعريف، حتى يكون لكم عذر. ولكنكم ببساطة تجرأتم أن تدركوا كما يعن لكم، وزعمتم أن الروح الذي قيل عنه إنه خُلق، هو نفسه الروح القدس، مع أنه كان يمكنكم، حتى عن طريق أناس تخصصوا في علم اللغة، أن تقفوا على الاختلاف القائم بين الأرواح، لأنه صار حديث حتى عن روح الإنسان، كما يرنم داود: "تشاورت مع قلبي ليلاً، وجزعت روحي" (مز ٧٦: ٧ س)، ويقول باروخ مصلياً ".. النفس في ضيق والروح المكروبة تصرخ إليك" (باروخ ٣: ١ س)، وفي ترنيمة الفتية الثلاثة: "يا أرواح ونفوس الأبرار باركوا الرب" (دا ٣: ٦٣ س). ويكتب قائلاً: "الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً" (رو ٨: ١٦، ١٧). وايضاً "لا أحد يعرف أمور الإنسان الا روح الإنسان الذي فيه" (١كو ٢: ١١). وفي الرسالة إلى التسالونيكيين يصلي قائلاً: "لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١تس ٥: ٢٣).

كذلك صار حديثٌ عن أرواح الرياح في سفر التكوين: "وأجاز الله روحاً

على الأرض فهدأت المياه" (تك ٨: ١). وفي سفر يونان: "فأرسل الرب روحاً شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم في البحر حتى كادت السفينة تنكسر" (يونان ١: ٤). وكتب في المزمور المائة والسادس "أمر فأهاج روحاً عاصفة فرفعت أمواجه" (قابل مع مز ١٠٧: ٢٥ دار الكتاب المقدس). وفي المزمور المائة والثامن والأربعين: "سبِّحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج، النار والبرد والثلج والضباب، الروح العاصفة، الصانعة... (كلها) كلمته" (مز ١٤٨: ٧، ٨). وفي حزقيال في مرثاة صور: "ملاحوك قد أتوا بك في قلب البحر إلى مياه كثيرة. كسرتك روح الجنوب" (حز ٢٧: ٢٥، ٢٦).

٨- فإذا قرأتم أنتم أيضاً الكتب المقدسة، تجدون كلمة "روح" مستعملة بالمعنى الموجود في الأقوال الإلهية كما كتب بولس: "الذي جعلنا كفاةً لأن نكون خدام عهد جديد، لا الحرف بل الروح. لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي" (٢كو ٣: ٦)، لن ما ينطق به يكتب بالحروف أما المعنى الذي يتضمنه فهو يدعى "روح". وهكذا أيضاً "الناموس روحي" (رو ٧: ١٤)، حتى -كما قال أيضاً- "لا نعبد بعتق الحرف بل بجدة الروح" (رو ٧: ٦). وهو نفسه يقول عندما يشكر: "أشكر الله بيسوع المسيح ربنا إذ أنا نفسي أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية. إذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس الخطية والموت" (رو ٧: ٢٥، ٨: ١). وإذ رغب فيلبس في تحويل الخصي من الحرف إلى الروح قال له: "ألعلك تفهم ما أنت تقرأ". وكان لكالب مثل هذا الروح كما يشهد بذلك قول الرب في سفر العدد: "أما عبدي كالب فمن أجل أنه كانت مع روح أخرى وقد اتبعني تماماً، أدخله إلى الأرض التي ذهب إليها" (عد ١٤: ٢٤).

ولأنه تكلم بذهن مختلف عن ذهن الآخرين فقد صار مرضياً عند الله. وقد

حث الله الشعب أن يكون لهم مثل هذا القلب، عندما قال على لسان حزقيال: "اعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة" (حز ١٨: ٣١).

وإذا كانت الأمور على هذا النحو، ومنها تبين أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأرواح، فقد كان من الأفضل لكم جداً، عندما تسمعون عن الروح الذي خُلق، أن تفكروا في أحد الأرواح التي سبقت الإشارة إليها. مثل ذلك الروح الذي كتب عنه اشعياء: "قد تحالف آرام مع إفرايم فرجف قلبه (بيت داود) وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الروح (الريح)" (أش ٧: ٢). وفي نفس المعنى قيل: "أرسل الرب روحاً شديداً إلى البحر" (يونان ١: ٤). بسبب يونان. لأن الرعد تتبعه أرواح الرياح، كما بالنسبة إلى المطر الذي حدث في أيام آخاب وكتب عنه "بعد برهة وجيزة أسودت السماء من الغيم والروح (الريح)" (١مل ٨: ٤٥).

٩- ولكن حيث أن النبوة (عا ٤: ١٣ س) "أنا هو مؤسس الرعد وخالق الروح ومعلن للإنسان مسيحه". -فيما يقولون- تشير إلى المسيح، فإنه يتبع ذلك، أن الروح المشار إليه يجب أن يُفهم على أنه الروح القدس وليس روحاً آخر. أنتم إذن تظنون أن الروح الذي سمي مع المسيح هو الروح القدس، ولكن أين وجدتم أن هذا الروح يتميز حسب الطبيعة وينفصل عن الابن حتى أنه -بينما تقولون إن المسيح ليس مخلوقاً- فإنكم تقولون إن الروح القدس مخلوق؟ إنه من غير اللائق أن تسموا معاً وأن تمجدوا معاً، أشياء تختلف في طبيعتها. لأنه أية شركة توجد وأي شبه يقوم بين المخلوق والخالق. لأنكم أنتم أيضاً تضيفون وتقرنون مع الابن المخلوقات التي خُلقت به. وقد كان هذا إذن كافياً لكي تدركوا أن المقصود بما كتب هو الإشارة إلى روح الرياح، تماماً كما سبق وذكرت. ولكن حيث أنكم تتخذون من ذِكر المسيح في النبوة حجة، فقد صار من الضروري أن نفحص بالدقة ما قيل، لعلنا نجد المعنى الذي يناسب أكثر، القول بأن الروح قد خلق.

فأيُ معنىً آخر يُستنبط من القول، بأنه "معلن للإنسان مسيحه" سوى أنه هو نفسه صار إنساناً، وسوى أن هذا القول يشبه قول اشعياء النبي: "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل" (أش ٧: ١٤). ويشبه أيضاً الأقوال التي كُتبت عن مجيئه؟ فعندما يعلن عن مجيء الكلمة متجسداً، فأيُ روحٍ إذن يجب أن ندرك أنه مخلوق، سوى روح الإنسان الذي خُلق للمرة الثانية وُولد ثانية وتجدد؟ لأن هذا هو ما أعلنه على لسان حزقيال قائلاً: "وأعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم" (حز ٣٦: ٢٦، ٢٧). فمتى كَمُل هذا إلَّا عندما جاء الرب وجدد كل الاشياء بنعمته؟ ها هوذا إذن أيضاً في هذا القول، يتبين لنا الاختلاف بين الأرواح. فروحنا هي التي تجددت، ولكن الله يقول إن ذلك الروح الذي به تجددت أرواحنا هو روحه، كما يقول المرنم في المزمور المئة والثالث "تنزع روحها فتموت وإلى ترابها تعود. ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض" (مز ٣ – ١: ٢٩، ٣٠س).

وإذا كنا نتجدد بروح الله، فإن الروح الذي يقال عنه الآن إنه خُلق لا يشير إلى الروح القدس، بل إلى روحنا، وإذا كنتم بكل تأكيد تعتقدون اعتقاداً حسناً أن الابن ليس مخلوقاً لأن كل الاشياء صارت بالكلمة، فكيف لا يعتبر تجديفاً أن تقولوا إن الروح القدس مخلوق، وهو الذي فيه بواسطة الكلمة يكمل الآب كل الأشياء ويجددها؟ وإذا كانوا، لمجرد أنه كُتب، أن الروح قد خُلق، قد توهموا فيما بينهم أن هذا الروح هو الروح القدس، فيلزمهم الآن بالأكثر أن يقتنعوا أن الروح الذي خُلق ليس هو الروح القدس، بل أن روحنا هو الذي يتجدد فيه، والذي من أجله يصلي داود قائلاً: "قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مز ٥: ١٠س). وهنا قد قيل إن الله خلقه، وأما فيما سبق، كما يقول زكريا فإن الله صوره كما يقول: "باسط السموات ومؤسس الأرض ومصور روح الإنسان في داخله" (زك ١٢: ١). أي ذاك الذي صوره أولاً، عاد وجدده بعد السقوط، وذلك بأن جاء هو ذاته

إلى الخليقة عندما صار الكلمة جسداً، كي كما قال الرسول: "يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق" (أف ٢: ١٥، ٤: ٢٤). وهو لا يعني بهذا أنه خلق إنساناً آخر غير الإنسان الذي خُلق من البدء على صورة الله، بل يتكلم عن العقل الذي خلق وتجدد في المسيح وينصحهم أن يقبلوه، وهو الأمر الذي يتضح أيضاً من حزقيال عندما يقول هو نفسه: "اعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة. فلماذا تموتون يا بيت اسرائيل، لأني لا أُسر بموت من يموت يقول الله الرب" (حز ١٨: ٣١، ٣٢).

١٠- وعلى ذلك، إذا كان الروح المخلوق له مثل هذا المعنى، فيجب علينا أيضاً أن ندرك إدراكاً صحيحاً، الوعد الذي تأسس من قبل الله، أي الكلمة الصادقة وناموس الروح غير المتزعزع. ولأن الرب أراد ليوحنا ويعقوب أن يخدما الكلمة، فقد دعاهما بوانرجس أي إبني الرعد" (مر ٣: ١٧). وبالحقيقة، صرخ يوحنا بهذا من السماء قائلاً: "في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وكان الكلمة الله" (يو ١: ١). وأما في القديم فإن الناموس كان له "ظل الخيرات العتيدة" (عب ١٠: ١)، ولكن عندما أعلن المسيح للبشر وجاء قائلاً: "أنا الذي أكلمك هو" (يو ٤: ٢٦)، عند ذلك كما قال بولس: "صوته زعزع الأرض حينئذ وأما الآن فقد وعد قائلاً إني مرةً أيضاً أُزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً. فقوله مرة يدل على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقي التي لا تتزعزع. لذلك ونحن قابلون ملكوتاً لا يتزعزع ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية بخضوع وتقوى" (عب ١٢: ٢٦-٢٨). وهذا الذي يقول عنه ملكوتاً لا يتزعزع، يراه داود ثابتاً ويرنم: "الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة تمنطق بها. أيضاً ثبت المسكونة، لا تتزعزع" (مز ٩٣: ١، ٢). وعلى ذلك فالنص الذي أورده النبي، يشير إلى مجيء المخلص، الذي به نتجدد، وكذلك يظل ناموس الروح ثابتاً.

لكن هؤلاء الذين هم "المحرفون" بالحقيقة، قد اتفقوا مع الأريوسيين واقتسموا معهم التجديف على اللاهوت، فبينما قال الأريوسيون عن الابن إنه مخلوق، قال هؤلاء عن الروح القدس إنه مخلوق. لقد تجاسر "المحرفون"، كما يؤكدون هم أنفسهم، أن يجدوا لأنفسهم طرقاً، وأن يسيئوا تفسير أقوال الرسول بولس، وما كتبه بصواب إلى تيموثيئوس قائلاً: "أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة" (١تي ٥: ٢١). هؤلاء يؤكدون أنه طالما أن الرسول قد سمى أولاً: الله والمسيح ثم بعد ذلك سمى الملائكة، فيلزم أن يحسب الروح القدس مع الملائكة ويكون من طغمتهم وهو ملاك أعظم من الملائكة الآخرين.

وفي البداية كانت هذه البدعة من تعليم فالنتينوس *Valantinos* ولم يستطع هؤلاء أن يتبينوا واقع الأمر من أنهم كانوا يقولون بتعاليمه. كان فالنتينوس يؤكد أنه كما أرسل المعزي، أرسل معه ملائكة من نفس العمر. وبينما انزلوا الروح القدس إلى طغمة الملائكة، فإنهم قد أضافوا الملائكة إلى الثالوث، لأنه إذا كان الملائكة يجيئون بعد الآب والابن –حسبما يؤكدون– فلقد أصبح واضحاً أن الملائكة ينتمون إلى الثالوث، وهم ليسوا بعد "أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة" (عب ١: ١٤). ولا ينالون التقديس، بل بالحري هم أنفسهم يقدسون الآخرين" (القديس أثناسيوس، الرسائل إلى سرابيون عن الروح القدس ١: ٤ – ١٠).

وهكذا، إزاء الصلف والعجرفة والتعالي على كلمة الله، وعلى التسليم الكنسي، مع صمتٍ مريب من أساقفة المجمع المقدس، الذي يقدِّسُه روح الحق وتُقدِّسُه الشهادة للإيمان، فإن إعادة بحث ما سلَّمه إلينا القديس أثناسيوس، اصبحت ضرورة تلح علينا بقوة الأمانة والرجاء، وهو ما نوجزه في النقاط الآتية:

أولاً: أداة التعريف الـ الخاصة بعمل الروح القدس حسب الأصل اليوناني:

* "إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة" (رو ٨: ١٠)؛ لأن الروح يعطي الحياة الجديدة.

* "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم" (رو ٨: ١١)، فهل الذي أقام المسيح هو روحٌ فقط، أم أن باقي كلام الرسول واضح؟ وما هو الأمر بالنسبة لـ "روحه الساكن فيكم"، أليس هذا هو روح الآب طبقاً لما هو واضح من بقية التعليم في السطور التالية: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ أبَّا أيها الآب" (رو ٨: ١٥)؟ والروح الذي يصرخ هو نفسه روح الآب حسب كلمات غلاطية: "بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبَّا الآب" (٤: ٦)، فهل للابن روح غير الروح القدس، وهل يرسل الله "روح قدس" مجهول الأصل والفعل لكي يعطي التبني لنا؟ لأنه إذا كان غير روح الآب، فنحن لسنا أبناء الله، وإن لم يكن روح الآب للتبني، فما هو الغرض من أن يرسَل باسم الابن، بما أنه "روح الابن"، وإلَّا فماذا يفعل ذلك الروح قدس المجهول الأصل؟

وفي الصلاة، وهي العلاقة الجديدة، علاقة الشركة الأبدية يقول رسول الرب: "إننا لا نعرف كيف نصلي ولكن: الروح يُعين .. ولكن الروح نفسه يشفع فينا .. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب إرادة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٦)، فهل الروح هنا هو "روح قدس"، أم روح الله الذي يعرف أسرار القلب الإنساني لأنه الله؟ أليس هذا تكملة لما سبق؟

ويُضاف إلى كلام الرسول السابق (١كو ٢: ١٠) "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله". ألا يخجل المطران من هذه الكلمات، فيقدم روح قدس يفحص

أعماق الله؟ وكيف يتفق ذلك مع كلام الرسول: "هكذا أمور الله لا يعرفها أحد إلَّا روح الله" (١كو ٢: ١١)؟

وعندما يُوبِّخ الرسول كنيسة كورنثوس سائلاً في ألم: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو ٣: ١٦)، فكيف يسكن فينا روح قدس، أي روح آخر غير الروح القدس روح الله، وتجعلنا سكناه "هيكل الله"؟

والاعتراف بأن يسوع هو رب، وبكل دقة يكتب رسول المسيح: "ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول إن يسوع رب إلَّا بالروح القدس" (١كو ١٢: ٤).

ولاحظ تنوع عمل الروح الواحد الذي لا ينقسم إلى أرواح، في كل اصحاح ١٢ من عدد ٤ حتى ١٧:

- أنوع مواهب .. لكن الروح واحد (٤).

- خدم موجودة .. لكن الرب واحد، وهو هنا يسوع المسيح الواحد مثل الروح الواحد (٥).

- أنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل (٦). أليس الله وروح الله هو العامل في الكهنوت؛ لأن الروح القدس قد أعطى.

ويُبطل القديس بولس وقاحة كل من يقول بأن العامل فينا هو آخر غير الروح القدس أو بأن النعمة أو القوة هي آخر غير الله؛ لأن الرسول يقول: "ولكنه يُعطى لكل واحد استعلان أو إظهار الروح للمنفعة" (٧) لأن الذي يظهر ليس الموهبة، بل الروح القدس نفسه.

- بالروح كلام حكمة. لآخر كلام معرفة (علم) بحسب الروح الواحد (٨).

– إيمان بالروح الواحد، فهل يعطى هذا الايمان بروح قدس، وعندئذٍ يصبح الإيمان إيماناً بآخر غير الله؟

– ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد (٩).

– علم قوات .. نبوة .. تمييز الأرواح .. أنواع ألسنة .. ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً (موزِّعاً) لكل واحد على حدة كما يشاء (١١).

– وعند الانضمام إلى جسد المسيح، ذلك الجسد الذي كوَّنه الروح القدس في أحشاء البتول، والذي به نعتمد، فهل هذا روح قدس حسب الرأي الفاسد للمطران، أم حسب كلمات الرسول: "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد .. وجميعنا سقينا روحاً واحداً" (١٢)، فهل لأي روح قدس القدرة على أن يجمع ملايين البشر، ويسكن فيهم، ويضم الكل إلى جسد المسيح الواحد؟ أليس هذا روحاً فائقاً غير محدود؟

وعند المقارنة بين العهدين: الأول أي القديم، والجديد الأبدي، فإن رسالة أو بشارة الخلاص مكتوبة "بروح الله الحي" (٢كو ٣: ٣)، ولذلك الروح يحيي، ولكن الحرف يقتل (٢كو ٣: ٦). فكيف يمكن لروح أن يحيي إن لم يكن هو روح الآب؟!!

ولذلك عندما نتجلى هنا وفي الدهر الآتي، فإن "الرب هو الروح وحيث روح الرب هناك حرية" (٢كو ٣: ١٧)؛ لأننا سوف نتغير إلى "تلك الصورة"، أي صورة مجد المسيح بذات قوة وعمل الروح القدس "من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٨).

جسدٌ واحد – روحٌ واحد – ربٌّ واحد:

هكذا يتم تمزيق الكنيسة بفصل المواهب عن أقنوم الروح القدس، ولذلك كان الهجوم المتواصل على الروح القدس هو سبب كل العثرات والفواجع التي عشناها، كأن

بولس معنا يصرخ في كل أحد:

– اسلكوا كما يحق للدعوة التي دعيتم بها.

يا لتعاسة هذا الجيل الذي يحاكِم كلٌّ الآخر في الإعلام. هل نسمع؟

– بكل تواضع ووداعة وبطول أناة.

– محتملين بعضكم بعضاً في المحبة (لا في شبكة المعلومات).

– مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح – الحياة الواحدة التي من الروح برباط السلام. ذلك الذي نمارسه في القبلة الرسولية.

هذا التحدي هو تحدي الشيطان الذي يمزق:

جسد واحد

روح واحد؛

لأننا دعينا إلى رجاء الدعوة الواحدة يسوع المسيح نفسه

رب واحد

ايمان واحد

معمودية واحدة.

ثم الخاتمة إله وآب واحد (بدون أداة التعريف، فهل هو إله آخر يا سيدنا المطران؟) للكل؛ لأنه الآب الذي على الكل بالرأس الواحد يسوع المسيح وبالكل وفي كلكم بالروح الواحد" (أفسس ٤: ١–٦).

ثانياً: صيغة المضاف إليه الخاصة بالروح القدس حسب الأصل اليوناني

وردت صيغة المضاف إليه الخاصة بالروح القدس في العهد الجديد ٣٠ مرة، وسوف نكتفي بأهم الأمثلة:

* "شريعة روح الحياة في المسيح" (رو ٨: ٢) وهي خاصة بالسالكين حسب الروح وليس حسب الجسد. هذه الشريعة هي التي حررت بولس من شريعة الخطية والموت[١].

* "أما أنتم فلستم في الجسد (حياة بيولوجية)، بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم" (رو ٨: ٩). وها قد عشنا ورأينا الذين يسلكون حسب قوانين الحياة الجسدانية: سيارات المرسيدس – الالقاب الكاذبة – الصور التي تجعل المطران هو السامري الصالح .. سلوكٌ حسب الحياة الإنسانية الساقطة، وليس حسب الروح القدس، وهو سلوك طبيعي؛ لأن الذي ينكر سكنى الروح القدس يعود إلى طبيعة آدم الساقطة.

* "نحن الذين لنا باكورة الروح"، أي أخذنا باكورة ثمار الحياة الجديدة (رو ٨: ١٣) ماذا؟ "نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا" في يوم القيامة وتحول الجسد بالقيامة إلى ذات مجد جسد ربنا يسوع المسيح (فيلبي ٣: ٢١).

* يقول رسول المسيح "إن محبة الله قد انسكبت (مثل سكب دم الذبائح) في قلوبنا بالروح القدس (رو٥: ٥)، ولذلك يضع الرسول أمام كنيسة روما أن يصبح انسكاب هذه المحبة الإلهية، هو الدافع القوي للصلاة لأجله: "أطلب إليكم أيها الأخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله" (رو

---

(١) لاحظ عدم ثنائية الموت والخطية: شوكة الموت هي الخطية، وقوة الخطية هي الشريعة أو الناموس (١ كور ١٥: ٥٦)، أليست وراثة الموت هي وراثة الطبيعة الفاسدة؟

١٥: ٣٠). فإذا كان الله محبة كما يقول الشاهد لمحبة الله يوحنا الإنجيلي (١ يوحنا ٤: ٨)، فهل يمكن تقسيم وفصل المحبة الإلهية التي يسكبها روح المحبة، الروح القدس فينا؟

أذكر عندما سؤل الحمل الوديع القمص ميخائيل ابراهيم، عن المواهب والأقنوم، أنه صمت بعض الوقت، وقال: محبة الله تعطى بالروح القدس (رو ٥: ٥) والمحبة لا يمكن أن تكون محبة صادقة إذا كان الله يعطي محبةً أخرى غير محبته الحقيقية .. كان رداً قاطعاً، فكيف يكون لدى الله أكثر من محبة؟ وانفتح لنا نحن الطلبة الصغار طريق الملكوت السماوي – محبة واحدة لا يمكن أن تنقسم، ولا يمكن أن تكون محبة صادقة إلَّا إذا كانت محبة الله نفسه .. يا ويل الكنيسة التي لا تعرف هذه الحقيقة الأبدية. ويا ويل كل من يصمت إزاء تزييف الإنجيل أي بشارة الحياة والمحبة.

الروح القدس، وعمل الثالوث الواحد بالروح القدس:

كيف يقرأ أي مسيحي هذه الكلمات: "لكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله" (٢كو ١: ٢١)؟ وماذا يحدث عندما تُشرح بنفس التعليم المزيَّف؟ لاحظ: الله يثبتنا في المسيح بروح قدس، ويمسحنا الله بروح قدس، روح آخر غير روحه .. هل يستقيم هذا؟ لا سيما أن الرسول يضيف، إذ يقول عن الله: "الذي ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا". لا يمكن تخيُّل نتائج هذا الشرح:

١– الله غريب وبعيد عن خلاصنا.

٢– يعطي لنا الثبات في الابن بواسطة روح قدس.

٣– ويعطي لنا مُقدَّم العطية، أي العربون في قلوبنا لكي لا نعرف الله، بل لكي نتغرب عنه.

ألا تلخص هذه النتائج المرعبة التي قدمناها، هذا الزيف والادعاء؟ ألم تحُن بعد عودة معلمو الكذب إلى الأرثوذكسية؟ ألم يقل الرسول في نفس الرسالة إن الحياة التي

لأجلها خلقنا الله (٢كور ٥:٥)، هي تلك الحياة التي لا تموت؛ لأن الرسول يؤكد أن عدم الموت، أي الخلود، هو أحد صفات الحياة الإلهية نفسها، ولذلك أعطانا "عربون الروح" (٢كور ٥: ٥).

ويختم رسول الرب الرسالة الثانية إلى كورنثوس بدعامة الحياة الأبدية:

- نعمة ربنا يسوع المسيح.

- ومحبة الله.

- وشركة الروح القدس مع جميعكم (١كو ١٣: ١٣) ولاحظ شركة الروح في (فيلبي ٢: ١١).

تُرى، هل نعمة المسيح ربنا، هي آخر غير يسوع الذي هو "قيامتنا"؟

هل محبة الله وشركة الروح القدس حيث لا يوجد حرف جر، وانما صيغة المضاف ή κοίνωνία τού άγίου πνεύματος تسمح لأحد -مهما كان- أن يقول إن لنا شركة في روحٍ آخر يوضع مع الآب والابن؟

في المسيح ننال عربون أو موعد الروح القدس، وحتى لا يهرب أحد ويختفي خلف كلمة عربون، أو خلف كلمة موعد، نلفت النظر إلى إن ربنا قال عنه إنه موعد الآب (أع ١: ٤)، كما قال إن الرسل سوف ينالون معمودية الروح القدس، وإن القوة ستأتي "متى حلَّ الروح القدس عليكم" (أع ١: ٨)، فلا قوةَ بدون حلول الروح القدس. ولكن القوة ليست البديل، ولا هي بغير الروح؛ إذ لا توجد قوة للشهادة غير قوة روح الآب. وليست الشهادة فقط، بل إن سكنى الروح القدس لها ثمر ظاهر في حياة الذين نالوا الروح القدس. أمَّا الذين نالوا روحاً آخر، فهؤلاء هم المرتدون عن النعمة الإلهية الذين لا تجد فيهم ما يؤكده الرسول بولس في (غلا ٥: ٢٢).

* أما ثمر الروح فهو محبة .. فهل رأينا محبة عند مدعي الحلول المواهبي؟

* فرح .. فهل رأينا إلَّا التوتر النفسي وسرعة الغضب وسرعة إصدار الأحكام الباطلة؟

* طول أناة .. فهل كان لدى الأسقف الذي حرم ثلاثة من الخدام في كنيسة خمارويه دون سبب ظاهر، طول أناة؟

* صلاح، إيمان، وداعة، تعفف، أم افتخار بلقب الرجل الحديدي، والرجل الثاني بعد الأنبا شنودة.

لقد صار الإنجيل مُذاعاً ومبَشَّراً به بقوة وبالروح القدس (١ تس ١: ٥)، والذين قبلوه سكن فيهم روح الآب، ورغم الضيق الذي حلَّ بهم يقول الرسول: "قبلتم الكلمة في ضيق كثير بفرح الروح القدس" (١ تس ١: ٦).

وماذا عن تقديس الروح؟ لن نكتفي بما ذكره رسول الرب، بل علينا أن نقدم بعضاً من جواهر التسليم الرسولي للقديس أثناسيوس الرسولي.

لكن قبل أن نقدم هذه الجواهر نتساءل: هل يصح أن يقول أحد الأساقفة إنه عندما ينطق باسم الأنبا بيشوي يتقدس فمه ولسانه، ناسباً التقديس إلى غير الثالوث؟ وهل يصح أن يقول الأنبا بيشوي إن الأنبا شنودة الثالث هو الذي قدَّس الميرون، ناسباً تقديس الميرون إلى البابا البطريرك، لا إلى روح التقديس؟ أليس غريباً هذا التحول عن الله نفسه إلى البشر؟

فليكن معلوماً للكل أنه لا توجد قوة أو سلطة للتقديس إلَّا للرب يسوع والروح القدس.

وعليك عزيزي القارئ أن تلاحظ أنه في القداس الإلهي يقول الكاهن -مشيراً إلى الرب يسوع-: أخذ خبزاً – باركه، ثم يقول: قدَّسه" ولذلك يتم التقديس بدعوة الرب يسوع لأن يرسل روح التقديس الذي هو روح الآب.

ولذلك يقول الرسول بولس إن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق "الأمر الذي دعاكم إليه ببشارتنا لاقتناء مجد ربنا يسوع المسيح" (٢تس ٢: ١٣-١٤).

جواهر القديس أثناسيوس:

يقول القديس أثناسيوس الرسولي في الرسائل إلى سرابيون:

"قداسة واحدة مستَمَدَّة من الآب بالابن في الروح القدس" (سرابيون ١: ٢٠).

وبعد ذلك بكلمات قليلة يقول:

"إن القوة المحيية والعطية التي بها يقدس وينير يجب أن تكون واحدة كاملة وتامة، وهي التي يقال عنها إنها تنبثق من الآب، لأنها من الكلمة .. وتشرق وتُرسل وتعطي بالابن .." (سرابيون ١: ٢٠).

"الروح هو روح القداسة والتجديد" .. (١كو ٦: ١١ – تيطس ٣: ٤-٧)، ويشرح هذا في المقالة الأولى ضد الأريوسيين:

"كوني أنا كلمة الآب، فأنا نفسي أعطي الروح لذاتي. أنا الصائر إنساناً، فيه (الروح) أتقدس لكي يتقدس الجميع فيَّ أنا الذي هو الحق" (ضد أريوس ١: ٤٦).

في الروح:

تعبير لا تعرفه اليونانية الكلاسيكية. في الترجمة العربية، ولمجرد استخدام نوع من الأناقة في التعبير، حلَّ حرف الجر "بـ" محل حرف الجر "في – ἐν". واستخدام حرف الجر "في" هو تأكيد على أن مجال عمل الروح القدس هو "في" –على سبيل المثال– "ختان القلب في الروح" (رو ٢: ٢٩)، فهو العمل الذي يعمله الروح القدس بشكل مباشر.

يؤكد ذلك، التمييز بين الحياة الآدمية القديمة (في الجسد)، والحياة الجديدة "في الروح"؛ لأن الرسول يقول إن هذه الحياة الجديدة تقوم "إن كان روح الله ساكناً فيكم" (رو ٨: ٩).

وسيادة الروح على الحياة البيولوجية "إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤)؛ لأن روح التبني –سبق الإشارة إليه– هو الذي يقود إلى حياة جديدة.

والروح القدس يقول عنه رسول المسيح: "ضميري شاهد لي في الروح القدس" (رو ٩: ١).

وملكوت الله "ليس أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس (لاحظ أن ترجمة فان ديك أبقت على حرف "في"؛ لأن الوجود في الملكوت يعني أننا "في الروح" (رو ١٤: ١٧).

قبول الأمم للإنجيل هو تقديم الأمم قرباناً مقدساً مقبولاً في الروح القدس (رو ١٥: ١٦)؛ لأن الروح يقدمنا إلى الله الآب في يسوع المسيح.

والاعتراف بالمسيح رباً هو "في الروح القدس" (١كو ١٢: ٣).

وكل أعمال الروح مثل الانضمام إلى جسد المسيح الكنيسة، هي "في الروح" (١كو ١٢: ١٣ – راجع ١كو ١٤: ٢).

وبسبب استدعاء الروح في اجتماعات الكنيسة يقول الرسول: "باركت في الروح" (١كو ١٤: ١٦).

وفي عبارة واحدة تُظهر لنا حقيقة الحياة المسيحية: "في طهارة في علم في أناة في لطف في الروح القدس في محبة بلا رياء في كلام الحق في قوة الله .." (٢كو ٦: ٦).

وقبول الروح بالإيمان (غلا ٣: ٣ – ٥: ٥)؛ لأن هذا هو "السلوك بالروح (غلا ٥: ١٦)، أو حسب الروح (غلا ٥: ٥).

والكنيسة هي هيكل مقدس في الرب (أفسس ٢: ٢١) ولكن لاحظ أيضاً قوة التعبير: "الذي فيه (في الرب يسوع) أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح" (أفسس ٢: ٢١-٢٢)؛ لأن المحبة المسيحية هي "محبة في الروح القدس" (كولوسي ١: ٨).

لا يجب أن نخطئ لأن التعليم واضح:

إذا وضعنا معاً (رو ٨: ١٥ – ١كو ٢: ١٢ – ٢تيمو ١: ٧)، فإن الروح القدس يستعلَن لمن يريد أن يؤمن بأنه ليس:

- روح من العالم
- روح العبودية للخوف
- ولكنه روح الله (١كو ٢: ١٢)
- الروح الذي يعطي التبني (رو ٨: ١٥)

– روح المحبة التي يعطي المحبة للمؤمنين كما سبق وأشرنا (٢كو ٦: ٦) الذي فيه وبه نحيا لأنه روح الحياة (رو ٨: ٢)، وروح القداسة (رو ١: ٤)، روحٌ يعطي الإيمان بالله (٢كو ٤: ١٣) ويعطي الحكمة (أفسس ١: ١٧).

ما هو المقصود بتعبير "الروحاني"؟

استخدم الرسول كلمة الروحاني πνευματικός ١٥ مرة في (١كورنثوس) وحدها:

من خلال تقديم التعليم الرسولي في (١كو ص ٢) يظهر لنا:

– حكمة الله يعلنا الروح القدس (٢: ١٠).

– الروح هو الذي يفحص أعماق الله (٢: ١٠).

– نحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله لنعرف الأمور الموهوبة لنا من الله (٢: ١٢) الروح يُعلم ويظهر لنا ما هو من الله.

إذن، "الروحاني" هو الذي يقبل حكمة الله والمعرفة من روح الله (١كو ٢: ١٥) وهم نفس الذين قبلوا الروح وثمار الروح ظاهرة في حياتهم لا سيما المحبة (غلا ٥: ٢٢) هؤلاء هم "الروحانيين". وتعليم الإنجيل (ما تقدمه البشارة) هو "الروحانيات"، أي أعمال الروح القدس (١كو ٩: ١١)، وهو ما يصفه الرسول باسم "المواهب الروحية" (١كو ١٢: ١ راجع أيضاً ١كو ١٤: ١).

ولذلك الإنسان الروحاني لا سيما (١كو ص ١٥ أعداد ٤٤–٤٦) هو الذي أقامه روح يسوع الساكن فيه (رو ٨: ٩).

الفصل التاسع

شهادة الطقوس الكنسية

أو

الروح القدس في الليتورجية

الروح القدس في استعلان ربنا يسوع المسيح في الليتورجية

يبدو أن الاهتمام بالتسليم الطقسي، قد جاء على حساب التسليم اللاهوتي، أي على حساب المعاني والإيمان الكامن في الطقوس. وقد سبق أن حذَّرني القمص مينا المتوحد من الاستغراق في قراءة أو سماع الذين يقدِّمون شرحاً للطقوس دون أن يكون الشرح: أولاً: من العقيدة. ثانياً: من السرائر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: كل شرح للاتجاه للشرق أثناء الصلاة يتجاهل أن أول مرة يتجه فيها الموعوظ إلى الشرق هو في الاعتراف بالإيمان في المعمودية بعد جحد الشيطان، هو شرح غير دقيق. وإذا لم نُعلِّم أن الاتجاه للشرق، وإن نداء الشماس: "وإلى الشرق أنظروا" المقصود به هو نور الاستنارة الذي أُخذ في المعمودية المقدسة؛ وهو الاسم القديم جداً في مصادرنا التاريخية ابتداءً من (عب ٦: ٤ عن الذين استنيروا مرةً)، أقول إذا لم نُعلِّم بذلك نكون قد فقدنا المعنى الذي تريد الليتورجية أن توصلنا إليه، وبالتالي نفتح المجال رحباً للفتاوى والخيالات. فنحن، في اتجاهنا للشرق، نعود إلى الاعتراف بالمسيح – الذي تم في المعمودية– وقبوله ربَّاً ومخلصاً، والاتحاد به حسب صيغة الاعتراف: "ألتصق

بـك أيهـا المسـيح إلهـي وبكـل ... أعمالـك المعطيـة الحيـاة (الواهبـة الحيـاة)، ثم "يـأتي الاعتراف بالثالوث في الأمانة المقدسة حسب ترتيب سر المعمودية المقدسة. أمَّا تفسير الاتجاه للشرق، بحشد كل ما ورد عن الشرق والنور، وحتى مجيء الرب وظهوره الثاني الآتي من الشرق، بدون إيضاح أن هذا مرتبط أشد الارتباط بالكيان الإنساني الجديد، فهو وقوع في فخ العصر الوسيط الذي حشد أكبر قدر من كلمات الوحي للاستغراق في الجانب الرمزي على حساب الاتحاد المستيكي أو السري بين الرب يسوع والمؤمنين.

استدعاء الروح القدس في صلوات الليتورجيات:

حسب الخولاجي المقدس، ندرك من التسليم اللاهوتي لخدمة "سر الأسرار" أن لدينا الكاهن يسوع المسيح الذي يقدم لنا كل شيء بقوة الروح القدس. ففي صلوات الاستعداد، يقول الكاهن:

"أرسل لي قوة من العلاء ....

وفي صلاة تقال سراً بعد الاستعداد، يقول الكاهن:

"أنت يا سيدنا اجعلنا مستوجبين **بقوة** روحك القدوس أن نكمل هذه الخدمة".

وقبل أن يسقط السُذَّج في فخ هرطقة الأنبا بيشوي مطران دمياط علينا أن نقرأ باقي الصلوات؛ لأن الأمر ليس خاصاً بقوة، بل هو الحضور الإلهي للابن:

"نعم يا سيدنا كن معنا. اشترك في العمل معنا .... أنت يا رب علمتنا هذا السر العظيم الذي للخلاص".

لأن ما نقدمه هو تقدمة، ولاحظ أنه لا يوجد مجال لحديث أو شرح عن قوة؛ لأن العبارة التالية تشق بطن هذه الهرطقة. فالتقدمة طاهرة حسب موهبة روحك القدوس

أو طاهرة كـ **ⲕⲁⲧⲁ** موهبة روحك القدوس.

أما ما هو جدير بالاهتمام فهو الذوكصولوجية التي تقال في نهاية الصلوات والتي تقول:

"بالمسيح يسوع ربنا. هذا الذي من قبله المجد والكرامة والعز والسجود تليق بك معه مع الروح القدس المحيي المساوي لك الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين كلها آمين".

وهنا نلفت النظر إلى خطورة حذف هذه الذكصولوجية من الطبعات الحديثة للخولاجي، أو أن تقال سراً؛ لأنها من الأسرار التي لا تنطق.

فكيف يمكن أن تقدَّم التقدمة بقوة غريبة أو منفصلة عن ربنا يسوع المسيح نفسه؟ وما يأتي بعد ذلك هو رشم التقدمة باسم الثالوث في الرشومات التي يسبقها أيضاً إعلان مجد الثالوث:

"مجداً واكراماً للثالوث القدوس .. المجد والإكرام الذي للثالوث القدوس".

فهل يرشم الكاهن التقدمة بروح قدس، أم بالروح القدس الباركليت؟

هذا الاختراع الشيطاني الذي يقودنا إلى أن هناك روحين: واحد هو الأقنوم، والثاني هو روح قدس!!!

ولا يقف التسليم عند هذا الحد؛ لأن تحليل الخدام يقول: "من فم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس"، الذي نرتل له بعد قراءة الإبنجيل، ونقول:

"لأنه مبارك الآب والابن والروح القدس الثالوث الكامل نسجد له ونمجده".

فهل نسجد لروح قدس يُضاف إلى الثالوث الكامل. أم أنه لا يوجد إلَّا الروح

الواحد حسب تعبير رسول الرب في (١كو ص ١٢).

وفي أوشية السلامة الكبيرة يقول الكاهن، ومعه الشعب (وهذا هو مغزى صيغة الجمع، وهو الشرح اللاهوتي): "سلاماً وبنياناً لكنيسة الله"؛ لأن الكنيسة تنال السلام الدائم وتبنى دائماً على هذا النحو:

– "اقتننا لك يا الله مخلصنا

– لأننا لا نعرف آخر سواك (ولا يوجد روح قدس آخر)

ولا تقف الصلاة عند هذا بل تقول:

– "اسمك القدوس هو الذي نقوله" (صدى ١كو ١٢: ١–٣)

وماذا يحدث عندما ننطق باسم الرب؟

– "فلتحيا نفوسنا بروحك القدوس"، لا بروح قدس، بل بروحك القدوس.

– "ولا يقوى علينا نحن عبيدك موت الخطية ولا على كل شعبك".

إذن، فعندما ينكر المطران عمل الروح القدس في الإنسان؛ فهو يطلب الموت لنفسه ولغيره دون أن يعرف؛ لأن الروح القدس هو الذي يجعلنا نعترف بالمسيح الرب ويوحِّدنا به.

في صلاة الصلح: "عال فوق كل قوة النطق"، يقول الكاهن:

– طهِّر شفاهنا

– واعتق عقولنا من كل اختلاط (مادي منظور) الهيولي (الذي يشتت الانتباه).

– ارسل لنا نعمة روحك القدوس.

فكيف نطهُر بدون نعمة الروح القدس؟ وكيف نقبل بعضنا بعضاً بقبلة المسيح نفسه، إذا لم يكن فينا روح يسوع، الروح القدس؟ هذا مستحيل.

وفي نشيد ليتورجي أُهمل بسبب الغباء، وربما بسبب ضياع الموسيقى:

– تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح

– وأضيء علينا بلاهوتك العالي

– ارسل علينا هذه النعمة العظيمة التي لروحك القدوس".

ولأن الليتورجية هي بكل أمانة أرثوذكسية، هي شركتنا في الثالوث بواسطة الابن وبالروح القدس، ولذلك في نشيد آخر هجرناه.

– تعالوا إلى المائدة (أي الوليمة السماوية)

– ....

– المجد للآب والابن والروح القدس.

وفي نشيد آخر:

– المجد لك أيها الآب

المجد لك أيها الوحيد مع الروح القدس

– إلهٌ الواحد ربٌّ واحد (لاحظ أن هذه الذكصولوجية يونانية من تراث كنيسة الاسكندرية القديم، وأن أداة التعريف أل غائبة من كلمة الروح القدس).

بداية الأنافورة:

تبدأ الأنافورا بتدبير الخلاص، وهي موازية في كل القداسات لكل ما جاء في قانون الإيمان. هي قانون الايمان كله مع الخاتمة التي تُقدَّم فيها تقدمة الرب، الخبز والخمر، وإن كانت تختلف لفظياً من قداسٍ لآخر، ولكن الحقيقة التي نجاهر بها، واحدة.

وهي تبدأ بالتدبير؛ لأن التدبير هو الذي أعطانا شرعية الوجود في الكنيسة في حضور الثالوث القدس. المعمودية هي أساس وجودنا في القداس الإلهي:

"وجعلنا له شعباً مجتمعاً (بمن؟ بالثالوث ومع بعضنا)

وصيَّرنا أطهاراً بروحك القدوس" (القداس الباسيلي).

أذكر هنا أن أستاذنا الكبير د. وهيب وعطا الله – نيافة الأنبا غريغوريوس، كان هو أول من قال إنه يوجد في اللغة القبطية "روح قدس" بسبب غياب أداة التعريف أل. و"الروح القدس"، إذا وُجدت أداة التعريف أل. ودار الحوار حول صحة استخدام هذه القاعدة الفقهية اللغوية في الليتورجية؛ لأننا صرنا "أطهاراً"، وهي تعريب دقيق للقبطي للفظ "مقدسين"، ولاحظ أن خولاجي القمص عبد المسيح المسعودي وضع في الحاشية إشارة إلى: (١بط ٢: ٩ – رؤ ٥: ١٠)[١]؛ لأن الشعب المقدس هو من سكنه روح التقديس. فإذا كان الأمر على هذا النحو، فهل يمكن تقديس الإنسان بروح قدس؟

فيما بعد، قال أستاذنا الراحل الكريم، الذي انتقل بقلب كسير حزين: "إن قواعد اللغة يجب أن تخضع للإيمان؛ لأن ما استُعلن هو في أقانيم الثالوث، وليس في صفحات الكتب". وأنا اعتقد أننا يمكن أن نعثر على هذه العبارة في مذكراته التي نُشر قسم كبير منها، ولم يُنشر كل شيء.

---

(١) "وأما أنتم فجنسٌ مختار وكهنوت ملوكي أمةً مقدسةً شعب اقتناءٍ لكي تخبروا بفضائل ذلك الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بط ٢: ٩). "وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنةً فسنملك على الأرض" (رؤ ٥: ١٠).

استدعاء الروح القدس على الخبز والخمر:

يسبق هذا الاستدعاء –حسب التسليم الكنسي اللاهوتي– حضور الرب يسوع الذي يشكر ويبارك ويقدس، ثم يقسِّم، وهو –بصوته الإلهي– يدعونا إلى أن نأكل من جسده ونشرب من كأسه، وبعد تأكيد دعوة الرب لنا، يدعو الكاهن الشعب للاعتراف بالإيمان وقبول الهبة:

"لأن كل مرةٍ تأكلون من هذا الخبز وتشربون هذه الكأس؛

تبشِّرون بموتي، وتعترفون بقيامتي، وتذكروني إلى أن أجيء".

ولاحظ –عزيزي القارئ– أن هذه الكلمات تجيء على لسان الرب يسوع المسيح نفسه، وهي صدى لما ذكره رسول المسيح بولس في (١كو ١١: ٢٦)[١]، لكننا هنا لا نسمع صوت بولس، بل صوت الرب نفسه، طبعاً عن طريق الكاهن لأنه يسلِّم يديه وفمه للمسيح لكي يعمل الرب بواسطته[٢].

وهو أمرٌ يختلف تماماً عما ساد عندنا من ادعاءٍ بأن الكاهن له السلطان على ممارسة الأسرار؛ ولذلك أهملنا الكاهن الذي يخدم –أي يسوع– بواسطة الكاهن المنظور، لصالح المنظور. ولذلك كان حقاً ما قاله القديس ايريناوس في كتابه (ضد الهرطقات ١: ٢): "إفساد الأفضل هو أسوأ إفساد".

---

(١) "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء".

(٢) في العظة الثانية على رسالة تيموثاوس الثانية (٢: ١٢) يعلِّمنا ذهبي الفم هذه الحقيقة الفائقة: "العطايا التي يمنحها الله لا تخضع لفضائل الكاهن ولا تتأثر بها، الكل هو نعمة. الكاهن يفتح فمه، ولكن الله هو الذي يعمل. الكاهن فقط –حسب الترتيب– يخدم .. لقد حل الروح القدس (على الرب يسوع)، رغم أن يوحنا لم يكن قد مُسح به، أما نحن فمن "ملئه كما قيل أخذنا كلنا" (يوحنا ١: ١٦)، ولكن الروح لم ينزل (من السماء) حتى عُمِّد هو (يسوع)، ولم يكن يوحنا هو سبب نزول الروح. لماذا تم ذلك؟ لكي تعلموا أن الكاهن يخدم حسب الطقس. ولا يختلف إنسان عن آخر .. لكن الروح ينزل لكي تعلموا أن الله هو الذي يعمل ... والقربان مثل (المعمودية)، وكل من يعتقد أنه يوجد كاهن أحقر من كاهن آخر، يجب أن يعلم أن المسيح الآن حاضرٌ، بل هو الذي يعمل ..".

وبعد أن يعيد الكاهن علينا صوت يسوع: "لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلى أن أجيء"، ويردد المؤمنون ذات الاعتراف بالموت والقيامة والظهور الثاني، يبقى السؤال الحاسم: لماذا يُستدعى الروح القدس؟

أولاً: لأننا نقرِّب ذات قربان المسيح (نقرب لك قرابينك).

ثانياً: ليس فقط الذي قدَّمه رب المجد، بل (مِن الذي لك)؛ لأن تجسد الرب وتقديم ذاته لنا، تم بالروح القدس؟

ثالثاً: لأن المسيح جسداً ودماً وألوهةً يُستعلَن بالروح القدس، وهذا حسب صلاة استدعاء الروح القدس:

- "مسرة صلاحك".

- "ليحل روحك القدوس

- علينا

- وعلى هذه القرابين

- ويطهِّرها (يقدسها) لاحظ أن كلمات الرب هي: "قدَّسه"

- وينقلها

والأهم، بسبب حواس الجسد وضعف الرؤية الروحية

- ويظهرها (يعلنها) قدساً للذين نالوا التقديس.

رابعاً: وبسبب استدعاء الروح القدس وتحول الخبز والخمر سرياً نطلب بعد ذلك

أن نمتلئ بالروح القدس عند التناول (راجع صلاة: كمُلت نِعَم إحسان ابنك الوحيد .."، والصلاة تطلب وحدة الكنيسة:

"لكي، إذا طهَّرتنا كلنا، تؤلفنا بك من جهة أسرارك الإلهية؛ لكي نكون مملوئين من روحك القدوس".

ولذلك، فإن مفاعيل التناول:

- ممتلئين من شوق محبتك الحقيقية

- وننطق بمجدك كل حين.

وإذا انتقلنا إلى القداس الكيرلسي، نسأل: بماذا نعلق على هذه الكلمات الإلهية؟

"املأ هذه الذبيحة ⲑⲩⲥⲓⲁ

التي لك (ليسوع)

بالبركة (الاسم "بركة"، هو الاسم المتواتر في شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس ورسائلة، الخاص بالإفخارستيا).

انها بركة القيامة والحياة الأبدية حسب وعد الرب يسوع المسيح نفسه. وتضيف الصلاة:

"التي لك (التي من قِبلك)

بحلول روحك القدوس عليها

بالبركة بارك (رشم)

وبالتقديس قدس (رشم ثاني يؤكد أن علامة الصليب هو قوة الثالوث)

قرابينك

كما نجد نفس التسلم، حيث تطلب الكنيسة:

"ارسل إلى أسفل (تنازل الروح القدس)

من علوك المقدس

ومن مسكنك المستعد (الابن المتجسد)

ومن حضنك غير المحصور (حيث الابن قبل التجسد وبعد التجسد)

ومن كرسي مملكة مجدك (سيادة الله وملكه على الكل)

الباركليت روحك القدوس (وردت بأداة التعريف أل وهو ما جعل استاذنا د. وهيب عطا الله يقول أن فقه اللغة يجب أن يخضع للإيمان).

البارقليط روحك القدوس

الكائن

بالأقنوم

ولأنه روح الآب الباركليت فهو

غير متحول

غير متغير

وتأكيداً

الرب المحيي الناطق في الناموس والأنبياء والرسل

وأكثر تأكيداً

الحال في كل مكان (فهو ليس روح قدس)

المالئ كل مكان

ولا يحويه مكان

وتُستعلَن ألوهية الروح القدس:

الفاعل بسلطة (وحسب القبطي/اليوناني- هي الطاقة ⲉⲛⲉⲣⲅⲓⲁ التي جعلت المطران ينساق وراء خياله)

بمسرتك الطهر (التقديس) على الذين أحبهم وهو ليس كالخادم".

ألا تؤكد كل هذه العبارات الواضحة أن الذي سيأتي هو ذات أقنوم الروح القدس؟

أعتقد أنها واضحة جداً، لاسيما ما يقوله الكاهن بعد ذلك مباشرةً:

"شريك كرسي مملكة مجدك

علينا نحن عبيدك وعلى هذه القرابين التي لك".

نحن بالفعل ننال الروح القدس نفسه. وأن كلمة "نفس" الروح القدس -وهي الكلمة التي استخدمها القديس أثناسيوس- هي ذات كلمة "أقنوم" الروح القدس كما جاءت في صلوات القداس الإلهي.

ملحق

البحث المقدم من الأنبا بيشوي إلى اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الأنجليكانية المنعقدة في إنجلترا في الفترة من ٣ – ٧ أكتوبر ٢٠١٣ بعنوان:

"انبثاق الروح القدس"

اللجنة الدولية الأرثوذكسية الشرقية – الإنجليكانية
استيفينج إنجلترا ٢ – ٧ أكتوبر ٢٠١٣

إنبثاق الروح القدس

الأنبا بيشوي

مطران دمياط وكفر الشيخ والبراري

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الجزء الأول

وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية فيما يخص إنبثاق الروح القدس

١ – مقدمة:

كما سوف ترون، فإن ورقتي سوف تتطرق إلى بعض الجوانب اللاهوتية التي تؤثر بعمق على العلاقات بين الكنائس في الشرق والغرب.

إن كنائسنا الأرثوذكسية الشرقية كانت بعيدة عن الجدل الذي ظهر بين الشرق والغرب في القرن الحادي عشر الميلادي، مسبباً الإنشقاق الشهير بين العائلة الخلقيدونية.

ولكننا الآن لسنا بعيدين عن أي حوارات لاهوتية. كما أن الحوارات الثنائية أحياناً تشكل بطريقة غير مباشرة، حوارات متوسعة، لأنها تنعكس على بعضها البعض بطريقة أو بأخرى.

في الماضي، سمى القديس كيرلس السكندري الإنطاكيين "الأخوة في الشرق". والآن في الحوار اللاهوتي الرسمي الدولي بين العائلتين الأرثوذكسيتين، فإن الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية تسمي نفسها "الكنيسة الأرثوذكسية"، وكنائسنا تطلق على نفسها "الكنائس الأرثوذكسية الشرقية".

أين هو الشرق والغرب اليوم؟ هذا سؤال نواجهه في عالم المتغيرات هذا.

٢- الثالوث القدوس في كتابات الآباء القديسين

لكي يشرح الثالوث القدوس قال القديس غريغوريوس النزينزي:

"دعنا نلتزم بحدودنا ونتكلم عن "غير المولود" و"المولود" و"ذاك الذي ينبثق من الآب" كما قال الله الكلمة نفسه في أحد المواضع.

وقد أعطى أيضاً وصفاً بسيطاً جداً فقال:

"هذا هو ما نقصده من "الآب" و"الابن" و"الروح القدس". الآب هو الوالد والباثق، بلا ألم طبعاً وبلا إشارة للزمن، وليس بطريقة حسية. والابن هو المولود، والروح القدس هو المنبثق.

وفي نفس السطر يقول:

"... لأجل هذه الحقيقة بعينها عن كونه: غير مولود أو مولود أو منبثق هو الذي أعطى الإسم الآب للأول والابن للثاني والروح القدس للثالث الذي نحن نتكلم بصدده فالتمايز

بين الثلاثة شخوص محفوظ في الطبيعة الواحدة ومجد اللاهوت. ليس الابن "الآب"، لأن الآب واحد، مع أن له ما للآب، وليس الروح القدس ابناً، لأن الابن واحد، مع أن الروح من الله؛ وله ما للابن. الثلاثة في واحد في اللاهوت والله الواحد ثلاثة في الخصائص (الجوهرية).

وكتب القديس باسيليوس الكبير:

"في عبادتنا لإله من إله، نحن نعترف بتمايز الأقانيم (الأشخاص)، وفي نفس الوقت نبقى على المونارشيه (التوحيد). نحن لا نقطّع اللاهوت إلى تعدد منقسم، لأن شكلاً واحداً، متحداً في اللاهوت غير المتغير، يُرى في الله الآب وفي الله الابن الوحيد. لأن الابن هو في الآب، والآب في الابن، لأنه كما الأخير هكذا هو الأول، وكما هو الأول هكذا هو الأخير، وبهذا تكون الوحدة. حتى أنه وفقاً لتمايز الأقانيم (الأشخاص)، فإن كليهما هما واحد وواحد، ووفقاً لوحدة الطبيعة فإنهما واحد. **كيف إذن، إن كانا واحد وواحد لا يكون هناك الهين؟** ذلك لأننا حينما نتكلم عن الملك وصورة الملك لا نتكلم عن ملكين. فالجلالة لم تشق إلى اثنين، ولا المجد انقسم. السيادة والسلطة فوقنا (علينا) هي واحدة، هكذا فإن التمجيد الذي ننسبه اليهما ليس متعدداً بل واحداً، لأن الكرامة المقدمة إلى الصورة تصل إلى النموذج الأصلي (الأصل).

والقديس اثناسيوس في رسائله ضد الأريوسيين كتب لشرح لاهوت الابن، وفي رسالته إلى سرابيون أكد على لاهوت الروح القدس.

عن الابن كتب:

"ولأن اللاهوت واحد في الآب والابن، فإنه نشأ عن ذلك بالضرورة أن كل الصفات التي تقال عن الآب قيلت هي بعينها عن الابن، إلا صفة واحدة وهي أن الآب أب .. لأن الابن نفسه يقول عن ذاته (مخاطباً الآب) كل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي"

(يو ١٧ : ١٠) .. ثم لماذا تنسب صفات الآب للإبن؟ إلا لكون الإبن هو نبع من الآب.

وعن الروح القدس كتب:

"من الواضح أن الروح (القدس) ليس مخلوقاً، ولكنه يشترك (له دوره) في عملية الخلق. **لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح (القدس)**؛ لأنه حيثما يوجد الكلمة، فهناك الروح أيضاً، والأشياء التي خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية (خارجة) من الروح من الكلمة. لذلك كُتب في المزمور الثاني والثلاثون "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل قواتها".

وعموماً أكد القديس اثناسيوس على وحدانية الله رغم الايمان بثلاثة أقانيم:

"يجب علينا ألا نتصور وجود ثلاثة جواهر منفصلة عن بعضها البعض في الله –كما ينتج عن الطبيعة البشرية بالنسبة للبشر – لئلا نصير كالوثنيين الذين يملكون عديداً من الآلهة. ولكن كما أن النهر الخارج من الينبوع لا ينفصل عنه، وبالرغم من ذلك فإن هناك بالفعل شيئين مرئيين واسمين. لأن الآب ليس هو الابن، كما أن الابن ليس هو الآب، فالآب هو أب الابن، والابن هو ابن الآب. وكما أن الينبوع ليس هو النهر، والنهر ليس هو الينبوع، ولكن لكليهما نفس الماء الواحد الذي يسري في مجرى الينبوع إلى النهر، وهكذا فإن لاهوت الآب ينتقل في الابن بلا تدفق أو إنقسام. لأن السيد المسيح يقول "خرجت من الآب" وأتيت من عند الآب. ولكنه دائماً أبداً مع الآب، وهو في حضن الآب. وحضن الآب لا يخلُ أبداً من الابن بحسب الوهيته".

٣- المصطلحات جوهر (أوسيا) وطبيعة (فيزيس) وأقنوم (هيبوستاسيس) وشخص (بروسوبون):

هذه المصطلحات اليونانية تسببت في وقت من الأوقات في سوء فهم بين لاهوتيي الشرق والغرب. لكننا سوف نحاول أن نقدم تعاريف لها بطريقة مفهومة على أساس تعاليم القديس كيرلس السكندري والقديس غريغوريوس النزينزي.

أ- **أوسيا** وتعني الجوهر أو الماهو أي حقيقة ما يكون عليه الكائن.

إن جوهر الذهب هو ماهية الذهب.

لقد حدد الله أن اسمه الخاص هو "يهوه"، معلناً أن وجوده الجوهري لم يأت إلى الوجود معتمداً على خالق آخر.

الذهب يمكن أن يتشكل بشكل خاتم، أو سلسلة، أو مفتاح، أو أي شكل آخر، لكن في كل الحالات فإن جوهر كل هذه الأشياء هو ذهب بغض النظر عن الشكل أو الدور أو الحجم إلخ.

إن جوهر كل شخص من الثالوث القدوس هو واحد، وهو نفس الجوهر، بغض النظر عن التمايز بين الخواص الأقنومية. فالآب هو المصدر، لكن هذا لا يعني أنه مختلف من حيث الجوهر عن الابن المولود منه، أو الروح القدس المنبثق منه.

ب- **فيزيس** وتعني طبيعة. وتعريفنا للطبيعة هو مجموع الخواص الخاصة بجوهر أو بكائن معين.

الذهب له خواص هي أنه ضد الصدأ (لا يتغير)، موصل جيد للكهرباء، غالي، أصفر اللون، براق، جميل .. الخ.

الطبيعة هي اسم العلم الذي يدرس خواص المواد المختلفة تحت ظروف مختلفة خاصة بالحرارة أو الكهرباء أو التأثير المغناطيسي، فمصطلح "طبيعة" Physics هو من كلمة "فيزيس".

ج- **هيبوستاسيس** وتعني أقنوم، هو المصطلح الذي يدل على الجوهر أو الطبيعة مع الشخص (بروسوبون) الذي يملكها.

أنه خطأ وخطر كبير أن نحاول تطبيق هذا المصطلح على المعنى البسيط للشخص (بروسوبون) فقط.

حينما نتكلم عن "الاتحاد الأقنومي" فإننا نتكلم عن اتحاد طبيعتين أو أكثر في شخص واحد بسيط.

لكننا لا يمكن أن نتكلم عن وحدة أشخاص لتكوين شخص واحد، لأن هذا مستحيل منطقياً كما سنرى حينما نقدم تعريف مصطلح "شخص". وفي نفس الوقت، هذا من الممكن أن يقود إلى الهرطقة النسطورية التي تتكلم عن وحدة أشخاص نتج عنها "شخص الاتحاد" في يسوع المسيح.

وفقاً للقديس كيرلس فإن "الاتحاد الأقنومي" يمكن تطبيقه على كل من إتحاد الجسد بالروح في الإنسان، وايضاً على اتحاد الناسوت باللاهوت في يسوع المسيح.

د- **البروسوبون** وتعني شخص، هذا المصطلح في القديم كان يستخدم ليشير إلى الوجه، لكن في كريستولوجية الآباء قديسي الكنيسة صار يستخدم كضمير متكلم، أي ليشير إلى "شخص".

الشخص هو ما يمكننا من التفريق بين فردين يحملون نفس الجوهر ونفس الطبيعة.

يمكننا أن نقول أن شخص القديس بطرس هو ما يميزه عن القديس بولس، رغم أن لهما

نفس الجوهر أو لهما نفس الطبيعة البشرية.

الشخص هو حامل الطبيعة ومالك القرار، هو مالك إمكانيات طبيعته والمستخدم لها وفقاً لإرادته الشخصية. **الإرادة الطبيعية** هي الرغبة أما **الإرادة الشخصية** فهي القرار، وهما لا يتطابقان بالضرورة مع بعضهما البعض في كل شخص وفي كل حالة.

الشخص (بروسوبون πρόσωπον) هو من يتجه نحو الآخر (الكلمة اليونانية πρόσωπον تتكون من πρός وتعني "نحو" ώψ وتعني "وجه").

الشخص هو من يتبادل الحب، لذلك فإن الزوجة والزوج على الرغم من اتحادهما معاً فإنهما يكونا جسداً واحداً إلا أنهما لا يكونا شخصاً واحداً، وإلا كيف يستطيعا أن يحيا بعضهما البعض؟

حتى ثلاث أشخاص الثالوث، وهو النموذج الأسمى للوحدة، فعلى الرغم من أن لهم نفس الجوهر والطبيعة والعقل والإرادة ويتطابقون في كل خواص الجوهر الإلهي، "لا أنهم لا يمكن أن يصيروا شخصاً واحداً لأن "الله محبة" (١يو ٤ : ٨، ١٨) وبدون التمايز بين الأشخاص (بروسوبا) لا يمكن أن يحبوا بعضهم بعضاً، وهذا قد يعني أن الله لم يعد هو الله الحب الثالوثي الأزلي بعد، وبالتالي نفقد الله.

٤- الخواص الجوهرية والخواص الأقنومية والتمايز بين أقانيم الثالوث:

كما رأينا في أقوال الآباء السابق ذكرها فإن خواص الجوهر متطابقة بالنسبة لثلاثة أقانيم الثالوث القدوس.

التمايز بينهم هو فيما يخص الخواص الأقنومية الخاصة بكل منهم.

الأبوة هي الأصل أو المسبب وهي الخاصية الخاصة بالآب الوالد والباثق.

البنوة هي الخاصية الخاصة بالابن الوحيد الجنس (مونوجنيس).

الإنبثاق هي الخاصية الخاصة بالروح القدس.

من المستحيل الخلط بين الخواص الأقنومية للثلاثة أقانيم أو حتى إثنين منهما، وإلا يسقط التمايز بين الثلاث أشخاص وبالتالي يحدث تشويش في اللاهوت.

يتكلم القديس غريغوريوس النزينزي بوضوح عن هذه الحقيقة فيقول:

"المسيح ... أي من الأشياء العظيمة التي يمكن لله أن يعملها ولا تكون في مقدرته، وأي من الأسماء تطلق على الله، ولا تطلق عليه، ما عدا "اللامولود والمولود" لأنه كان من الضروري أن الخصائص المميزة للآب والابن تظل خاصة بهما، لئلا يكون هناك اختلاط في الألوهة، التي تجعل كل الأشياء، وحتى غير المنتظمة، في ترتيب ونظام حسن".

كما أنه كان واضحاً جداً في تمييزه بين الولادة الانبثاق، حتى أن انبثاق الروح القدس ليست له علاقة بولادة الابن، وبالتالي فإن الابن لا يمكن أن يكون هو المسبب الثانوي لانبثاق الروح القدس من الآب.

فيقول القديس غريغوريوس:

"هذه هي الأسماء العامة للاهوت، ولكن الاسم المناسب لغير الينبوع هو الآب، وللمولود بلا بداية هو الابن، وللمنبثق غير المولود هو الروح القدس".

٥- الجوهر والطاقة في المفهوم الثالوثي:

إن إنبثاق الروح القدس من حيث الجوهر هو من الآب فقط، بينما الانبثاق الطاقوي للروح القدس هو من الآب الابن، معنى هذا أن مواهب الروح القدس هي مواهب ثالوثية من الآب من خلال الابن في الروح القدس.

يقول القديس اثناسيوس: "الآب يعمل كل الأشياء من خلال الابن في الروح القدس".

ويقول القديس غريغوريوس النيصي: "كل عملية تأتي من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتي الينا من خلال الابن وتكتمل في الروح القدس".

كلما تكلم الآباء عن انبثاق الروح القدس من الآب والابن، كانوا يقصدون مواهب الروح القدس وطاقاته (energia) فقط.

٦- بين الانبثاق والإرسال بالنسبة للروح القدس:

بعض اللاهوتيون الغربيون يدّون أن الإيكونوميا (economia) أي التدبير هي صورة للثيئولوجيا (theologia) أي اللاهوت، وبما أن الآب والابن أرسلا الروح القدس، فإن هذا يعني بالنسبة لهم أن الآب والابن بثقا الروح القدس من حيث الجوهر.

وردنا على ذلك (وفقاً لتعليم مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث) هو أن سفر إشعياء يقول: "منذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلني وروحه" (أش ٤٨ : ١٦).

ووفقاً لهذه الآية، فإن الابن مرسل بواسطة الآب والروح القدس، ومن المعروف أن الابن مولود من الآب فقط. وهذا يعني أن الايكونوميا ليست صورة للثيئولوجيا، وإلّا افترضنا أن الابن مولود من الآب والروح القدس وهذا لا يقبله أحد.

من ناحية أخرى، نحن لا ننكر أنه بسبب وحدة الجوهر، فإن الروح القدس ليس غريباً عن الابن وأنه في الابن، كما أن الابن ليس غريباً عن الروح القدس وهو في الروح القدس.

٧- الخلاصة

إن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية تحفظ النص الأصلي لقانون الايمان النيقاوي – القسطنطيني وايمان الكنيسة الأولى غير المنقسمة في أن الروح القدس منبثق من الآب.

والحقيقة أن هذا هو ما أوحى به في الأسفار المقدسة: ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي (يو ١٥ : ٢٦).

لا يكفي أن نسمح بحذف عبارة "والابن" (Filioque) المضافة من قانون الايمان، لكننا نحتاج في سعينا نحو وحدة الكنيسة أن نعترف معاً بنفس الايمان الثالوثي. **"واحد هو الآب الكلي القداسة، واحد هو الابن الكلي القداسة، واحد هو الروح الكلي القداسة. آمين"**.

الجزء الثاني

الصراع اللاهوتي حول إنبثاق الروح القدس

إن كنائسنا الأرثوذكسية الشرقية تؤمن، باتفاق مع النص المذكور في الانجيل (يو ١٥ : ٢٦)، أن الروح القدس منبثق من الآب. لكن، هناك كنائس أخرى تؤمن أن الروح القدس منبثق من الآب والابن وبالتالي اضيفت عبارة "والابن" إلى قانون الايمان في الجزء الخاص بانبثاق الروح القدس.

فيما يلي سوف نوضح هذه العقيدة:

أولاً: اثبات الكتاب المقدس:

في انجيل معلمنا يوحنا يقول السيد المسيح "ومتى جاء المعزي الذي **سأرسله أنا اليكم** من الآب، **روح الحق الذي من عند الآب ينبثق** فهو يشهد لي" (يو ١٥ : ٢٦).

Ὅταν ἔλθῃ ὁ Παράκλητος ὃν ἐγὼ πέμψω ὑμῖν παρὰ τοῦ Πατρός, τὸ Πνεῦμα τῆς ἀληθείας ὃ παρὰ τοῦ Πατρὸς ἐκπορεύεται

الذين يؤمنون بأن الروح القدس ينبثق من الاب والابن يستخدمون العبارة التالية "الذي سأرسله أنا اليكم" ويقولون طالما أن السيد المسيح هو الذي يرسل الروح القدس، فإن الروح القدس منبثق منه، ولكن من الملاحظ أن السيد المسيح قال "سأرسله أنا إليكم **من الآب**" كما أكمل انه "**من عند الآب ينبثق**" (يو ١٥ : ٢٦).

يضاف إلى ذلك أن الانبثاق شيء والإرسال شيء آخر فالانبثاق أزلي، وأما الإرسال فزمني. الإنبثاق خاص بالجوهر أو كينونة الروح القدس أما إرساله فيخص

عمله في الكنيسة.

السيد المسيح قال أيضاً: "وأما المعزي الروح القدس الذي **سيرسله الآب** باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤ : ٢٦). والملاحظ هنا انه يقول "الذي سيرسله الآب". فتارة يقول الذي سأرسله أنا، وتارة يقول الذي سيرسله الآب.

ولكن في الانبثاق لم يقل سوى انه منبثق من الآب. ولو كان الإرسال هو صورة طبق الأصل من الانبثاق، فكيف نشرح قول السيد المسيح في سفر اشعياء "**منذ وجوده، أنا هناك، والآن السيد الرب ارسلني وروحه**" (اش ٤٨ : ١٦).

لو كان الإرسال دائماً هو صورة من علاقة الأقنوم بالآب الذي هو الينبوع. فإن ارسال الابن سيكون بناء على هذا الافتراض الخاطئ، هو صورة من ولادته الأزلية. وبذلك يكون الابن مولوداً منذ الأزل من الآب والروح القدس وهذا غير صحيح.

ونلاحظ تعبير "روحه" في (أش ٤٨ : ١٦) جاء في صيغة الفاعل وليس المفعول به. بمعنى أن السيد المسيح قد أرسل من الآب ومن الروح القدس. فهل ينبغي أن يكون الابن مولوداً من الآب ومن الروح القدس قبل كل الدهور؟ أم أن الولادة الأزلية شيء، والإرسال الزمني شيء آخر؟

إن الانبثاق والولادة أزليان، أما الإرسال فهو زمني – أي حادث في الزمن. الانبثاق فوق الزمن، والولادة فوق الزمن، أما الإرسال فهو في ملء الزمان، كقول الكتاب "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه" (غل ٤ : ٤).

وكقول السيد المسيح لتلاميذه "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه، لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى اقصى الأرض" (أع ١ : ٧، ٨).

"وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من اورشليم **بل ينتظروا** موعد الآب الذي

سمعتموه مني" (أع ١ : ٤) كلمة "ينتظروا **موعد** الآب" تدل على أن إرسال الروح القدس هو شيء زمني... حلول الروح القدس شيء زمني، وموعد الآب شيء زمني، الانتظار معناه انه شيء زمني. كان السيد المسيح يتكلم عن أزمنة وأوقات .. إن حلول الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين هو شيء زمني، وموعد الآب شيء زمني. ولكن **الانبثاق** لا يمكن لأحد أن ينتظره لأنه فوق الزمن وقبل كل الدهور.

ثانياً: قانون الايمان النيقاوي القسطنطيني:

ينص قانون الايمان الذي وضعه الآباء على ما يلي:

"نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب .."

عبارة "والابن" باللاتينية Filioque [Filio تعني "الابن" وque تعني "و" أي (والابن)] أضيفت رسمياً واستخدمت بواسطة الكنيسة الكاثوليكية في قانون الايمان ابتداء من سنة ١٠٥٤م ورغم ذلك لم يقبل بها كل الكنائس الأرثوذكسية في العالم (الخلقيدونية وغير الخلقيدونية).

بعض الإدعاءات والرد عليها:

أولاً: ملكية الآب والابن:

قال السيد المسيح في حديثه للآب السماوي "ما هو لك فهو لي" (يو ١٧ : ١٠) فيقولون إذا كان الاب هو باثق للروح القدس، وكل ما هو للآب فهو للابن، فينبغي أن يكون الابن أيضاً باثقاً للروح القدس.

ونحن نرد على ذلك ونقول أن السيد المسيح قد ذكر هذا القول في صلاته للآب حينما كان يتكلم عن أنفس التلاميذ وقال "كانوا لك وأعطيتهم لي" (يو ١٧ : ٦) "وكل ما

هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي" (يو ١٧ : ١٠).

فما علاقة ملكية الآب السماوي للبشر، وملكية السيد المسيح لتلاميذه القديسين؛ بأن يكون الابن باثقاً للروح القدس؟!! الجوهر الكائن شيء والملكية شيء آخر.

إن علاقة الآب بالروح القدس هي **علاقة كينونة الروح القدس من الآب باعتبار الآب هو الأصل أو الينبوع في الثالوث القدوس**. وليست علاقة ملكية، لأن الروح القدس ليس من ممتلكات الآب، ولكن له كينونة واحدة مع الآب والابن. والجوهر الإلهي للثالوث القدوس لا يمكن أن يقوم بدون الروح القدس.

تأمل: لقد كنا ملك لله، ولما بعنا انفسنا للشيطان وللعبودية جاء السيد المسيح واشترانا بدمه. لمجرد التشبيه نعطي مثلاً: إنسان كانت لديه سيارة عزيزة عليه، وسُرقت، وبينما هو سائر في الطريق عثر عليها معروضة للبيع في معرض بيع سيارات، فمن حبه لها، واعتزازه بها، دخل المعرض واشتراها ثانية، رغم أنها ملكه وكانت له.

نحن ملك لله، وبه، وله. ونحن بعنا أنفسنا بإرادتنا، ومع اننا بعنا انفسنا، فالمسيح، لأنه كان سيشترينا بدمه قال للآب كانوا لك وأعطيتهم لي" (يو ١٧ : ٦) واشترانا من الهاوية، وخلصنا من الموت، وطالما هم ملك للآب، فسوف يقدمهم في استعلان ملكوت الله للآب، ويصير الله الكل في الكل.

وحتى لو فرضنا جدلاً أن هذه الآية يمكن أن تُعمم حتى نصل إلى ما يخص جوهر الله نفسه، فهي لا يمكن أن تعني في هذه الحالة أكثر من أن **جوهر الابن هو نفسه جوهر الآب**، ولا تعني اطلاقاً أن الابن له أبوة مثل الآب، فالجوهر الإلهي فيه آب واحد.

كلمة آب في اللغة الآرامية أو السريانية تعني "أصل"، أي لا تعني فقط معنى والد ولكنها تشمل المعنيين (والد وباثق).

يقول الكتاب المقدس "روح الحق الذي من عند الآب ينبثق" (يو ١٥ : ٢٦) فإذا كان

السيد المسيح باعتباره الابن الأزلي يملك كل ما للآب فإن هذا لا يعني أكثر من أن له كل خواص الجوهر الإلهي مثل: الأزلية والحق، والحكمة والمحبة والقدرة على كل شيء والوجود في كل مكان، والخلق (ومن هنا تأتي ملكية الخليقة) .. الخ.

لكن لا يمكن أن تعني أن يشاركه الأبوة، لأنه **كيف يكون ابناً وأباً في آنٍ واحد.** لأنه إن كان يشارك الآب في أبوته، فالنتيجة أن الابن سيكون والداً لنفسه.

بمفهوم آخر يكون الابن هو الآب، وهذا ما قاله سابيليوس الذي حرمته الكنيسة. فنحن لا نقبل إطلاقاً أن يكون أقنوم الابن هو أقنوم الآب، بل يوجد بينهما تمايز حقيقي بالرغم من وحدة الجوهر للآب وللابن وللروح القدس. فالله جوهر واحد مثلث الأقانيم. ولو ألغينا عقيدة التثليث لما كنا مسيحيين.

ولا ننسى أيضاً أن السيد المسيح قد قال للآب "كل ما هو لي فهو لك" (يو ١٧ : ١٠) **فهل معنى ذلك أن الآب له البنوة هو ايضاً ويصير مولوداً من الابن؟** إن هذا غير مقبول ولا معقول على الإطلاق.

الابن هو الله الكلمة، والروح القدس هو الرب المحيي، والآب هو الأصل أو الينبوع في الثالوث. فبالرغم من عقيدة الله الواحد، لكن الله الآب ليس هو الله الكلمة، بل أن الكلمة والآب هما إله واحد. الآب والد، الابن مولود، لكن جوهر الآب هو جوهر الابن.

كما ينبع ماء من ينبوع ويجري في المجرى، هكذا جوهر اللاهوت يصب من الآب في الابن، الينبوع يخرج منه الماء ثم يجري في التيار، الماء واحد، فماء التيار هو ماء الينبوع، وجوهر الاب وجوهر الابن هو جوهر واحد، ولكن لا نقدر أن نقول أن الوالد هو المولود: الوالد هو آب والمولود هو ابن، فالآب هو الآب والابن هو الابن. ولا يجوز أن نخلط بينهما بالرغم من أن لهما كينونة واحدة، وجوهر الهي واحد للثالوث القدوس وارادة ثالوثية واحدة ولاهوت واحد وطبيعة واحدة.

وحتى من الناحية اللغوية قال السيد المسيح كل ما هو **للآب** فهو لي" (يو ١٦ : ١٥)، فقد اختص الآب بلقبه الخصوصي، وبهذا يكون قد استبعد ما هو خاص مما هو كل، فإذا قلت مثلاً كتلميذ: [كل ما للأستاذ فهو لي]، فالأستاذ استاذ وانا طالب، حتى لو اشتركنا في باقي الأمور جميعاً، ولذلك نحن نفرق بين الخواص الجوهرية التي تخص جميع الأقانيم معاً. والخواص الأقنومية التي يختص بها كل أقنوم متمايزاً، ولا يشترك فيها أقنوم مع آخر، لكي لا نختلط الأقانيم مع بعض. فالآب له الأبوة والابن له البنوة والروح القدس له الانبثاق.

- الآب والد وباثق باعتباره الأصل أو الينبوع.

- والابن مولود إذ هو كلمة الله وصورته، الذي يعلن الآب ويخبر عن الروح القدس.

- والروح القدس هو روح الحق المنبثق من الآب، الذي يلهم عن الآب وعن ابنه الوحيد.

- الايمان بالثالوث هو سر الحياة. والمسيحية حياة، ومدخل المسيحية العماد على اسم الآب والابن والروح القدس.

ثانياً: روح الابن أو روح السيد المسيح

وقد ورد في الآيات التالية:

* "إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له **روح المسيح** فذلك ليس له" (رو ٨ : ٩).

* "بطلبتكم ومؤازرة **روح يسوع المسيح**" (في ١ : ١٩).

* "ثم بما أنكم أبناء **أرسل الله روح ابنه** إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب (غل ٤ : ٦).

الاحتجاج هو كالآتي: إذا كان روح الابن هو روح الآب فإنه بالضرورة يكون منبثقاً من

كليهما.

للرد نقول الملاحظات الآتية:

١- إن عبارة **أرسل الله روح ابنه** (غل ٤ : ٦) تتكلم عن إرسال الروح القدس وليس الانبثاق.

٢- يقول "إلى قلوبنا". والذي في قلوبنا هو مواهب وعطايا الروح القدس الفائقة وليس جوهر الأقنوم. وإلا لصرنا نحن الروح القدس نفسه. إن المواهب والعطايا زمنية وليست أزلية وما يسكن في قلوبنا هو عطايا زمنية وليس الجوهر الإلهي. إن كان في داخلنا الجوهر الإلهي لصرنا آلهة بكل معنى كلمة الألوهة.

٣- إن الروح القدس هو روح الابن لأن الروح القدس له نفس الجوهر الذي للابن والذي للآب أيضاً. فهو روح الابن بسبب وحدة الجوهر الإلهي وليس بسبب انبثاقه من الابن.

٤- الروح القدس هو روح السيد المسيح لأنه هو الذي مسحه "روح الرب علي لأنه مسحني" (لو ٤ : ١٨) ولأنه استقر عليه وفيه حينما تجسد وقبل المسحة من أجل خلاصنا، لأنه استعلن مسيحاً للرب، ورأساً للكنيسة.

٥- الروح القدس يسمى "روح الحكمة" (أف ١ : ١٧) "روح الفهم" (أش ١١ : ٢) "روح القداسة" (رو ١ : ٤) "روح الايمان" (٢كو ٤ : ١٣) "روح الاعلان" (أف ١ : ١٧) "روح المشورة" (إش ١١ : ٢) فهل لذلك ينبغي أن ينبثق الروح القدس من هذه جميعاً؟! والكتاب يقول "ويخرج قضيب من جزع يسى، ويثبت غصناً من أصوله ويحل ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة **ومخافة الرب**" (أش ١١ : ١، ٢) فهل الروح القدس ينبثق من مخافة الرب منذ الأزل ؟!! ومعلمنا بولس يقول إذ لنا **روح الايمان** عينه حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت (٢كو ٤ : ١٣) وروح الايمان معروف طبعاً أن لا علاقة لهذا التعبير بانبثاق الروح

القدس أزلياً من الآب. وهكذا روح المخافة – المعرفة .. الخ روح السيد المسيح **تسمية** لا تعني انه منبثق من الابن.

٦- الروح القدس ايضاً **يسمى "روح الابن" أو "روح المسيح" لأنه يشهد للمسيح** كقول الكتاب كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله (١يو ٤ : ٢) لذلك قال السيد المسيح أما المعزي الروح القدس الذي **سيرسله الآب باسمي** فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم (يو ١٤ : ٢٦) وكلمة سيرسله باسمي تعني أن اسمه "روح المسيح" أو "روح الابن".

ثالثاً: نفخة الروح القدس

الاحتجاج يقول أن السيد المسيح قد نفخ الروح القدس في وجه تلاميذه بعد القيامة وهذا معناه – في رأيهم – أن الروح القدس منبثق من الابن.

للرد نقول أن السيد المسيح لم ينفخ ذات جوهر أقنوم الروح القدس في وجه تلاميذه، ولكنه نفخ سلطانه مواهبه المختصة بالحل والربط، وغفران الخطية. (مثل نفخة رئيس الكهنة في سيامة الكاهن).

ولذلك حينما يذكر أقنوم الروح القدس في ذاته في الكتاب المقدس، فإنه يذكر مع أداة التعريف (الروح القدس – تو ابنفما تو آجيون τὸ Πνεῦμα τὸ Ἅγιον) مثلما ورد في:

ὁ δὲ Παράκλητος, τὸ Πνεῦμα τὸ Ἅγιον ὃ πέμψει ὁ Πατὴρ ἐν τῷ ὀνόματί μου

وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الاب باسمي (يو ١٤ : ٢٦).

Ὅταν ἔλθῃ ὁ Παράκλητος ὃν ἐγὼ πέμψω ὑμῖν παρὰ τοῦ Πατρός, τὸ Πνεῦμα τῆς ἀληθείας ὃ παρὰ τοῦ Πατρὸς ἐκπορεύεται

"متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم روح الحق الذي من عند الآب ينبثق" (يو ١٥ : ٢٦) أما حينما يذكر الروح القدس من جهة مواهبه وسلطانه وعطاياه فيذكر بدون أداة التعريف (روح قدس – بنفما آجيون Πνεῦμα Ἅγιον).

لذلك فإن الترجمة الصحيحة لقول السيد لتلاميذه عندما نفخ في وجوههم هي مثلما ورد في (يو ٢١ : ٢٢) Λάβετε Πνεῦμα Ἅγιον "اقبلوا روحاً قدساً" والمقصود بذلك هو موهبة الكهنوت التي هي من مواهب الروح القدس للكنيسة.

ولا عجب في هذا، بل إن رئيس الكهنة يفعل نفس الشيء حينما يقوم بسيامة كاهن جديد. فالسيد المسيح وهو رئيس الكهنة الأعظم، كان جديراً به أن يعطي موهبة الكهنوت لتلاميذه قبل أن يصعد إلى السماء بعد أن أتم الفداء على الصليب، وقام منتصراً من بين الأموات، ولكنه أكد دور الروح القدس في إقامة الرعاة، ومنح مواهب الكهنوت حينما قال لهم "اقبلوا روحاً قدساً".

قال أحد اللاهوتيين من الروم الأرثوذكس في الرد على عقيدة انبثاق الروح القدس من الآب والابن: [في يوم الخمسين كان في ظروف أخرى، عندما أنعم السيد المسيح بالروح القدس لم يكن أقنوم الروح القدس، ولكن مواهبه Charismats هي التي نقلت].

أخيراً نقول:

من هو مصدر وجود الروح القدس؟ الآب والابن؟ أم الآب فقط؟ الآب هو المصدر ولكن الصدور ليس له بداية، بل هو صدور أزلي خارج نطاق الزمن، وحيث لا يوجد سابق ولا مسبوق. مثل النار التي لم يكن لها بداية، فحرارتها المنبعثة منها هي ايضاً بلا بداية، هل أصل وجود أقنوم الروح القدس الآب أم الآب والابن؟ قطعاً الأصل هو الآب الذي انبثق منه الروح القدس.

نص يوناني لعبارة قالها أحد آباء القسطنطينية في الرد على من يؤكدون أن الروح القدس

منبثق من الآب والابن قال جريجوري بطريرك القسطنطينية (جريجوري القبرصي) في حواره مع (جون فيكوس): (هو باتير ثيؤجونوس ثيؤتيس كي بيجايا موني بيجي تيس أوليس ثيؤوتيتوس). ومعناها الأب هو الألوهة الوالدة، والألوهة النبع، والمصدر (النبع) الوحيد لكل الألوهة.

The father only is the begetting deity and divine source and the only source of the whole deity.

وهو يقصد انه لا يوجد ينبوع في اللاهوت إلا الآب فقط ينبوع والد وباثق.

θεογόνος θεότης (ثيئوجونوس ثيئوتيس) = الألوهة الوادة begetting deity (أقنوم الآب).

μοναρχια (مونارشيا) = الأصل الواحد (الوحيد) single or one principle

كلمة αρχη اليونانية تعني رأس أو رئيس أو بداية أو سبب بمعنى أصل وهي:

١- تنسب للآب في علاقات الأقانيم الإلهية

πατρικη άρχη (باتريكي أرشي) = أصل أبوي Fatherly Priciple.

٢- لو نسبت للثالوث يكون معناها بالنسبة إلى الخليقة

τριαδική άρχη (تریاذیكي أرشي) = تدبير economy = Triadic Principle

بالنسبة للخليقة "مبدأ ثالوثي".

كل قضية الروح القدس تتلخص في الانبثاق "اكبوريفسيس ἐκπόρευσις وفي الباتريارکي πατριαρχη عن الآب وهما التعبيران اللذان يعبران عن عقيدتنا في انبثاق الروح القدس.

الفرق كالآتي:

* في الثالوث القدوس لا يوجد إلا مونارشي واحد. ولذا نسميها باتريكي أرشي πατρικη άρχη وهي مونارشية الآب.

* تريباديكي أرشي τριαδική άρχη هذه في عملية الخلق بمعنى أن الثالوث هو علة الخليقة وليس الآب وحده.

معنى التدبير أي أن **الله هو الذي دبر الخلق هو الذي دبر كل شيء.**

هناك مبدأ لاهوتي بحسب شروحات الآباء لعقيدة الثالوث يقول أن أي شيء يأتي بصفة عامة (مشتركة) من الجوهر الإلهي هو طاقة وليس أقنوم.

- كل طاقة أو عمل يأتي من الثالوث.
- كل عطية هي من الآب من خلال الابن بالروح القدس.
- عطية الروح القدس هي من الآب من خلال الابن بالروح القدس.
- كل موهبة صالحة هي نازلة من فوق من عند أبي الأنوار من خلال الابن بالروح القدس.
- الخلق: خلق الآب العالم بكلمته وروحه. "في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور" (تك ١ : ١-٣) أي الآب خلق العالم بكلمته وبروحه.

لذلك كرر القديسون هذا المعنى، وقالوا "كل عطية من الآب هي من خلال الابن بالروح القدس" أو "كل عطية لها أصلها في الآب وتنقل بواسطة الابن وتتحقق بالروح القدس.

ومن أمثلة ذلك:

* قال القديس غريغوريوس "أسقف نيصص":

"كل عملية تأتي من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها، لها أصلها من

الآب وتأتي الينا من خلال الابن وتكتمل في الروح القدس.

* هذه العبارة قالها القديس اثناسيوس عدة مرات. قال القديس اثناسيوس:

"الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس.

وقال أيضاً:

"الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس".

يوجد نص جميل للقديس اثناسيوس يوضح كيفية منح الحياة من الله للخليقة قاله في حديثه عن الوهية الروح القدس:

"من الواضح أن الروح (القدس) ليس مخلوقاً، ولكنه يشترك (له دوره) في عملية الخلق. **لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح (القدس)**، لأنه حيثما يوجد الكلمة فهناك الروح ايضاً، والأشياء التي خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية (خارجة) من الروح من الكلمة لذلك كتب في المزمور الثاني والثلاثون "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل قواتها.

إن منح الطاقات الالهية هو عمل مشترك (أو عام) للثالوث القدوس، وهو يبدأ من الآب ويأتي من خلال الابن ويتحقق في الروح القدس.